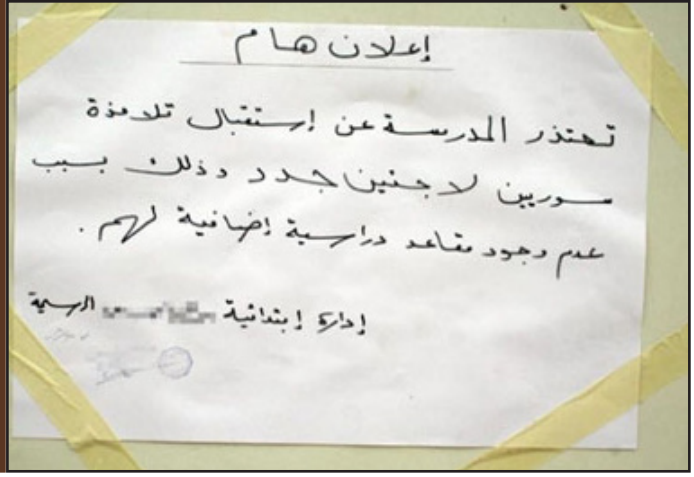

لافتة نظر

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

حنطة – السنة الثالثة

العدد ١٥ – نيسان ٢٠١٤

اللجوء السوري والخطاب العنصري في لبنان.. أحمد عيساوي

جواز سفر سوري حرّ.. لقمان ديركي

خيمة السوري جسده.. وائل زكي زيدان

راشد الطبشي على بيادر حنطة... حوار ناجي الجرف

تحت رعاية الشبيحة في حلب، بيوت للدعارة وتجارة النساء.. عثمان إدلبي

غياب تمثيل المرأة في المجالس المحلية.. مصطفى العبدي

الحركات المدنية في سوريا.. إلى أين؟.. محمد الحاج

في تذكر طلال نصر الدين، المسرح مرآة الزمن والناس.. علي سفر

تقرير للأمم المتحدة: الأطفال السوريون اللاجئون وحيدون في أزمتهم.. ترجمة غياث عبد العزيز

عمل للفنان انس سلامة

إن الآراء الواردة في حنطة تعبر عن رأي الكاتب ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com

أوطان جديدة.. حياة جديدة

ترجمة غياث عبد العزيز

ترتدي دانيا عمروش قميصاً كتب عليه: «مرحباً كيتي»، وأقراطاً على شكل قلبٍ صغير وتربط شعرها بشرائط جميلة. وتبدو دانيا كأيّة فتاةٍ أخرى، تبلغ من العمر ٧ سنوات، باستثناء ندوبٍ متعرجة تظهر على أنفها وعبر ذقنها.

أما الأسوأ فهو ما تحت البطانية التي تتغطى بها في الطابق الثالث من مستشفى كلّس في جنوب تركيا، فقد تمت معالجة الجروح النازفة الكبيرة على بطنها بمجموعةٍ من الخيوط الطبية المؤلمة. وعالج الطاقم الطبي الكسور في ساقها اليمنى ويدها اليمنى، إلا أن أصابعها بقيت سوداء وزرقاء، وهي الآن بالكاد تستطيع المشي. وتغطي الجزء السفلي من جسمها لإخفاء آثار الجروح الناجمة عن الشظايا.

صورة المقال الأصلية

قبل خمسة أشهر، كانت دانيا تجلس مع عائلتها في منزلهم في حلب، على بعد حوالى ٦٠ ميلاً إلى الجنوب من هذا المكان، عندما سقطت عليهم قنبلةٌ من الجو. قُتلت جدتها، وعمتها، وعمها واثنين من أبناء عمومتها على الفور. وفقد ابن عمٍ آخر لها ساقيه. أما دانيا فقد تشوهت بفعل القذيفة.

يقول محمد عمروش والد دانيا أنه لن يعود لبلده بعد مافعلته قوات الرئيس السوري بشار الأسد بهم. وعندما ستصبح دانيا مستعدةً لمغادرة المستشفى، فإن الأسرة ستبقى في تركيا، وستنضم إلى ما يقارب ٧٠٠٠٠٠ من السوريين الذي لجؤوا إلى تركيا. ويضيف محمد: «هذا هو منزلنا الآن».

نجد اليوم في الشرق الأوسط واحدةً من أكبر الهجرات القسرية التي حصلت منذ الحرب العالمية الثانية. وتُقدر الأمم المتحدة وحكومات الدول التي قصدها اللاجئون أن ما بين ٢,٣ و ٢,٨ مليون شخصاً فرّوا من وطنهم، وتقول الأمم المتحدة أن هذا العدد في ازدياد مستمر بمعدل يقارب ٣٠٠٠ لاجئ يومياً مع عدم وجود نهاية في الأفق للصراع الذي استمر فترةً تقارب الثلاث سنوات. وترتفع كلفة الصراع في سوريا بشكلٍ مستمر، حيث يُقدر عدد القتلى بأكثر من ١٢٥٠٠٠ بالإضافة إلى عشرات آلاف المشوهين، وقد تدفقت أعدادٌ كبيرة من اللاجئين إلى البلدان المجاورة «وخاصةً لبنان والأردن وتركيا» ما سبّبَ الشلل للاقتصادات الهشة وألحق الضرر بالتوازنات السياسية والدينية الحساسة في المنطقة.

«هذه الأماكن لن تكون كما في الماضي» تقول هيلين كلارك، رئيسة الوزراء السابقة لنيوزيلندا، والتي تقضي الآن معظم وقتها في المنطقة كرئيسة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي. وتضيف كلارك: «العديد من هؤلاء الناس لن يعودوا مجدداً إلى منازلهم».

ويقدر مسؤولوا الأمم المتحدة أن أكثر من ثلث الذين يعيشون في لبنان سيكونون قريباً لاجئين سوريين –١,٦ مليون في بلد يبلغ عدد سكانها ما قبل الحرب ٤,٤ مليون شخص– أو كما تقول كلارك: «كما لو أن سكان المكسيك قد لجؤوا إلى الولايات المتحدة».

وقد خلقت المشاركة في المنازل والوظائف والخدمات الحكومية غضباً أدى إلى احتجاجاتٍ متكررة، بالرغم من ترحيب معظم الناس بجيرانهم المحتاجين.

وتنفق البلدان المضيفة المليارات على بناء المدارس والمستشفيات ومياه الشرب وشبكات الصرف الصحي، ومحطات الطاقة والطرق والإسكان لمواجهة الزيادة السكانية.

وتتوسع مخيمات اللاجئين على نحوٍ متزايد لتصبح كمدنٍ دائمة، تشمل حكوماتٍ محلية ومدارس ومستشفيات ومساجد ومحلاتٍ تجارية ومقاهي إنترنت.

بالإضافة لذلك، فإن جيلاً جديداً بدأ بالازدياد في المخيمات مع ولادة الآلاف من الأطفال. ويتعلم الكثير من الأطفال السوريين الناطقين بالعربية اللغةَ التركية في المدارس تحضيراً لحياتهم الجديدة في المنفى.

ومع أكثر من ١٢٠٠٠٠ لاجئ، نجد مخيم الزعتري في الأردن وقد أصبح فجأةً رابع أكبر مدينةٍ في البلاد. ومن المتوقع أن يكون أكبر مخيمٍ جديد قيد الإنشاء في عمق الصحراء. وبدلاً من الخيام والمقطورات، تم تجهيز وبناء المباني الإسمنتية، ما يُعد اعترافاً بأن الأزمة سوف تستمر لسنواتٍ عديدة.

ويعيش أكثر من ثلاثة أرباع اللاجئين خارج المخيمات، حيث يستأجرون الشقق أو بعض المساحات من الكراجات، أو يجدون مأوىً في مبانٍ مهجورة، أو يقومون ببناء منازل على أراضٍ شاغرة. وقد ارتفع عدد السكان في العديد من المدن بمقدار ضعفين أو ثلاثةِ أضعاف بين ليلةٍ وضحاها.

وبينما يعيش العديد من هؤلاء اللاجئين في حاجةٍ دائمة، نجد أعداداً كبيرة من الصناعيين ورجال الأعمال السوريين أيضا، يقومون بشراء واستئجار الأبنية الراقية والعقارات في بيروت وعمان واسطنبول.

وقد أدى ازدياد الطلب على السكن إلى

ارتفاع الإيجارات في جميع أنحاء المنطقة، وفي كثير من الحالات نجد بعض السكان المحليين قد اضطروا للخروج من منازلهم. وتعيش بعض الأسر الأردنية في خيام الأمم المتحدة المخصصة للاجئين السوريين. وأدت أسوأ عاصفةٍ شتوية مرت على المنطقة منذ سنوات إلى مزيدٍ من البؤس أرهق اللاجئين الذين يعيشون في مساكن واهية دون أي مصدرٍ متوفرٍ للدفء، ومع القليل من الملابس الشتوية التي يواجهون بها الثلوج والأمطار المتجمدة.

ومع تأثّر التجارة عبر الحدود، عانى المزارعون الذين يقومون بشحن بضائعهم إلى سورية، أو عبرها إلى المملكة العربية السعودية والأسواق الكبرى الأخرى، من خسائر كبيرة. أما السياحة فقد انخفضت في الأردن ولبنان، وأصبح من المألوف رؤية أعداد كبيرة من السوريين المشردين في شوارع بيروت.

وأوضح تقريرٌ صدر مؤخراً عن البنك الدولي أن مستوى نمو الناتج المحلي اللبناني في لبنان انخفض بنسبة ٢,٩ نقطةٍ مئوية سنوياً بين عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٤، وقد كلفت الأزمة السورية المليارات ما أدى لخسارة النشاط الإقتصادي. وقال التقرير أن زيادة التنافس على الوظائف وانخفاض الأجور قد أدت إلى تضاعف معدل البطالة بين العمال اللبنانيين بنسبة أكثر من ٢٠ في المئة. وجميع تلك العوامل، كما خلص التقرير ستدفع بأكثر من ١٧٠٠٠٠ لبنانياً نحو الفقر، سيضافون إلى ١٠٠٠٠٠ آخرين موجودين أساساً تحت خط الفقر.

كما أنفقت الحكومة التركية أكثر من ٢,٥ مليار دولار لرعاية اللاجئين. وغالبية المرضى السوريين اليوم موجودون في العديد من المستشفيات والعيادات التركية. ويتم تشغيل المدارس نوبتين أو ثلاث نوبات يومياً لحماية جيل كامل من السوريين من الجهل والأمية.

وفي جميع أنحاء المنطقة، وصلت الخدمات المتعددة مثل الكهرباء والصرف الصحي وجمع القمامة إلى وضعٍ صعب. أما في الأردن، الدولة التي تملك كميةً مياهٍ متجددة أقل من أي بلد آخر تقريباً، وحيث مئات الآلاف من الناس يستنزفون المياه الجوفية في الوقت الحالي، فقد أصبحت المياه شحيحةً بمعدل ينذر بالخطر.

وصرح مسؤولون أردنيون أن مواصلة إيواء ما يقارب من ٦٠٠٠٠٠ لاجئ في البلاد، بما في ذلك بناء محطات توليد الكهرباء ومحطات معالجة مياه الصرف الصحي والمستشفيات، بالإضافة إلى ١٢٠ مدرسة في الأشهر المقبلة، سيكلف ١,٧ مليار دولار وهو ما يساوي حوالي ١٨ في المئة من إجمالي الميزانية العمومية للبلاد في العام الماضي. وقال مسؤولون أن مستوى إنفاق اللاجئين سيرتفع إلى ٣,٢ مليار دولار في العام المقبل.

***

قبل الحرب السورية، كانت مدينة كلّس منطقة هادئة على الحدود السورية يقطنها حوالي ٨٠٠٠٠ نسمة. أما اليوم فقد أصبح عدد سكانها ١٣٠٠٠٠ على الأقل.

وفي مستشفى كلّس الوطني، أجريت ١١٠٠٠ عمليةً جراحية للسوريين على الأقل هذا العام، في خمس غرف عمليات تعمل دون توقف. وتشكل الجروح الناتجة عن القنابل والرصاص القسم الأكبر من الإصابات. وقد مات أكثر من ٥٣٠ لاجئ في المستشفى هذا العام، كما ولد فيه أكثر من ١٥٠٠ طفل سوري. ويحتفظ الأطباء بصورٍ للجروح البشعة التي قاموا بمعالجتها، وتظهر إحدى تلك الصور جنيناً مصاباً بطلق ناري في قدمه، وفي هذا المستشفى، تمكن الجراحون من إنقاذ حياة دانيا عمروش.

بعد أن نجا والد دانيا من الانفجار الذي شوهها، بدأ على الفور بالحفر بين الأنقاض بحثاً عن عائلته. وأغلب الظن أنه كان قد عثر على عددٍ من الجثث حتى وصول عدد من الجيران ورجال الإنقاذ. واليوم تعود إلى ذهنه صور متقطعة من تلك الليلة «دانيا في مستشفى حلب، بطنها المتقطع وأمعاؤها الظاهرة»، نصحه الأطباء أن يذهب بها إلى مستشفى كلّس الذي يبعد مسافة ساعة حيث فرصة دانيا الأكبر للبقاء على قيد الحياة، ركب معها في سيارة الإسعاف. ثم أجرى مكالمة هاتفية مع زوجته. وبينما كانت دانيا في غرفة العمليات، كان والدها لا يزال في ملابس النوم.

«لم أكن أتوقع لها أن تعيش»، يقول عمروش، الذي كان يعمل خياطا في حلب. «ما زلت لا أستطيع أن أصدق ما حدث، وأحيانا أعتقد أنه لا يمكن أن يحدث».

وعلى مدار خمسة أشهر، بقي والد دانيا ينام على أرضية صالة المشفى، وأحياناً في الخارج فوق العشب، أما ابنه محمود البالغ من العمر ثماني سنوات فينام في أية مساحة يستطيع النوم بها. ويقدم المستشفى لهم بعض الطعام. لم يكن بحوزتهم أي مبلغ من المال، الشيء الوحيد الذي يملكونه كان عدداً قليلاً من الملابس الموضوعة في كيس صغير.

أما والدة دانيا، غادة عمروش، فتنام كل ليلةٍ على كرسي بجانب سرير ابنتها في المستشفى. وتقول غادة أنها لا تمانع في ذلك. وتضيف: «بعد كل ما حدث، لا يوجد أمرٌ صعب بعد الآن».

يرى كثير من اللبنانيين في دخول أعدادٍ ضخمة من السنة إلى لبنان، ومعظمهم يكرهون الأسد، كارثةً وشيكة الحدوث. وفي دلالةٍ على عمق تداعيات الأزمة الطائفية من سوريا، فقد أدى هجومٌ إنتحاري إلى مقتل ٢٥ شخصاً في يوم ١٩ نوفمبر/ تشرين٢ على مبنى السفارة الإيرانية في بيروت.

وفضل المسؤولون اللبنانيون عدم إنشاء مخيماتٍ رسمية للاجئين، خوفاً من تكرار ما حدث مع اللاجئين الفلسطينيين فيما مضى. ففي عام ١٩٤٨ أقام لبنان مخيمات للفلسطينيين المهجرين بسبب قيام دولة إسرائيل والحرب العربية الإسرائيلية في ذلك العام. وحتى يومنا هذا، يعيش ما يقرب من ٣٠٠٠٠٠ فلسطيني في ١٢ مخيم لجوء، تطورت مع الزمن من خيام منصوبة إلى مدن وبلدات قائمة في الوقت الحالي.

«هذا الأمر مخيفٌ جداً»، يقول أنطوان شديد، سفير لبنان في الولايات المتحدة. وأضاف: «عندما جاء الفلسطينيون في عام ١٩٤٨، كنا نظن أنهم سيبقون لبضعة أسابيع فقط».

و أدى تزايد الاستياء من الأعداد الكبيرة للاجئين إلى الاحتجاجات والعنف في بعض الأحيان في جميع أنحاء المنطقة، وقال لاجئ سوري أن القرويين المحليين في وادي البقاع هاجموا مخيماً غير رسمي يقطنه أقل من ٤٠٠ لاجئ، وقاموا بإحراق الخيام وهدم عدة مباني أخرى بدائية الصنع.

وقد تلكأ المجتمع الدولي بداية الأمر في تقديم المساعدات للاجئين السوريين على عكس ما فعله في عدد من الكوارث الأخرى، ويرجع البعض ذلك إلى وجود شبكة معقدة جداً من الفصائل المتحاربة في سوريا.

وفي أكبر نداء في تاريخها، طالبت الأمم المتحدة

الدول بتأمين مبلغ ٥ مليارات دولار – ٣ مليار منها للاجئين السوريين – و ٢ مليار للمساعدات الإنسانية داخل سوريا. و تم تأمين حوالي ٦٢٪ من هذا المبلغ. وقدمت حكومة الولايات المتحدة حوالي ١,٤ مليار دولار كمساعدات إنسانية.

وتحدثت منظمات خاصة عن صعوبة جمع التبرعات، حيث قامت منظمة رعاية الطفل بجمع مبلغ ١,٦ مليون دولار في تبرعات خاصة للاجئين السوريين. وللمقارنة، فقد تم جمع ٦ ملايين دولار كمساعدات في الأسبوعين الأولين بعد إعصار الفلبين، ومبلغ ٢٦ مليون دولار في ستة أشهر بعد زلزال هايتي عام ٢٠١٠.

وعلى عكس الكوارث الطبيعية المفاجئة، والتي تثير التعاطف، فإن الأزمة السورية أزمة معقدة ومطولة، لذلك فمن الصعب المحافظة على اهتمام الرأي العام، يقول مايكل كلوسون، وهو مسؤول تنفيذي في منظمة رعاية الطفل. «ليس هناك شعور واضح حول من هم (الأخيار)، ويبدو هذا الصراع مثل أي صراعٍ آخر في الشرق الأوسط يسهل تجاهله.»

مسؤولو الإغاثة قلقون بسبب تفاقم الأزمة السورية:

تقدر الأمم المتحدة أن ٦,٥ مليون سوري أجبروا على الخروج من منازلهم واتخذوا مأوىً لهم داخل سوريا، وفي كثيرٍ من الأحيان مع أقاربهم في الأرياف. بالإضافة إلى ما يقرب من ٣ ملايين سوري اليوم هم في حاجة إلى الغذاء والدواء وغيرها من المساعدات. ويصبح العدد بذلك حوالي ٩,٥ مليون –وهو ما يقارب نصف عدد سكان سوريا البالغ ٢٢ مليون قبل الحرب– وذلك مع تجاهل أعداد المشردين والذين فقدوا المأوى.

وبحسب أندرو هاربر الذي يشغل منصب رئيس مكتب وكالة الأمم المتحدة للاجئين في الأردن فإن نحو ٤٠٠٠٠٠ لاجئ سوري في الداخل يعيشون على بعد ٣٦ ميلا من الحدود الأردنية، وهو ما قد يعني تسونامي جديدة من اللاجئين قد تحدث في أي وقت.

ويقول هاربر: «أدعو من الله أن أكون على خطأ وان الأزمة ستنتهي في سوريا، وأولئك الذين نزحوا الآن سيكونون قادرين على العودة إلى ديارهم».

ويضيف هاربر: «لكن من منا بصراحة يرى ذلك أمراً قريب الحدوث؟؟».

بعد خمسة أشهر من انفجار القنبلة، لا تزال نظرة الذهول في عيني محمد عمروش. واليوم نجده يسير في ممرات المستشفى لتمرير الوقت. منذ فترة مضت، كان خياطاً يرتدي السراويل السوداء الأنيقة والقمصان المقلمة. أما اليوم فنادراً ما تراه يبتسم إلا على سبيل المجاملة.

وكما يقول محمد، فقد غادر سورية بعد ثلاث قنابل من قوات الأسد دمرت حياته هناك في بلده. فمنذ حوالي ١٨ شهراً، دمرت قنبلة منزل عائلته، فانتقل للإقامة مع والديه. وفي العام الماضي، تم تدمير مشغله للخياطة. ثم جاء هجوم مايو/أيار الذي سبب تشوه ابنته دانيا.

« لقد فكرت في مغادرة حلب بعد الهجمات السابقة».

وأضاف: «لكن والدي كان مسنين، ورفضا المغادرة. لم أستطع تركهما وبقيت بجانبهما حتى النهاية»

ويتحدث محمد شارحاً وضع ابنته بأنها حاولت النهوض من السرير والمشي لعدة خطوات، لكن من الواضح أن ساقها اليمنى المهشمة بالكاد تستطيع ان تتحمل أي ثقل. تحتاج دانيا على الأرجح إلى عملية جراحية واحدة على الأقل، وإلى أشهر من العلاج الطبيعي.

وعند سؤال دانيا عن أكثر ما تفتقده في المنزل، تجيب بصوت خافت بأنها تفتقد ألعابها. ثم تبتسم متذكرة بأنها كانت تدعوهم: «أطفالها».

«كان هناك الكثير منهم، وكانوا يعيشون في غرفتي، وكنت أرتبهم فوق الرفوف». وتضيف دانيا «انهم لا ينامون ولا يأكلون أي شيء، لكنهم كانوا دائما جياعاً!»

صورة المقال الأصلية

وبينما يستمع محمد لحديث صغيرته عن منزلها المفقود، يمسح دموعاً في عينيه ثم يخرج من المكان.

ويقول محمد: «في ليلة واحدة بائسة وجدنا أنفسنا هنا، وربما في يوم من الأيام سوف نجد أنفسنا مرة أخرى في مدينتنا».

رغم ذلك لا يبدو محمد مقتنعاً بالأمر، وينظر مراراً من النافذة إلى مساحات الأراضي الخالية خارج أسوار المستشفى.

إنها ليست أرضه.

لكنها بالتأكيد المكان الذي سيعيش فيه الآن.

***قبل الحرب، كان عدد المسلمين في لبنان حوالي ٦٠٪ من عدد السكان وهذه النسبة مقسمة بالتساوي تقريباً بين السنة والشيعة، واليوم، نجد هذا التوازن الحساس مهدد بالزعزعة مع تدفق اللاجئين المتزايد إلى لبنان.**

***ومن بين نحو مليون لاجئ سوري في لبنان نجد الغالبية العظمى من السنة. ما يضاعف تقريباً عدد السنة الموجودين في بلد تكثر فيه التوترات الطائفية بشكل مستمر.**

***أما حزب الله، الميليشيا الشيعية القوية المدعومة من قبل إيران، فيقاتل أفراده اليوم إلى جانب جيش الأسد.**

نزوح مزدوج
مخيمات اللجوء في إقليم كردستان العراق

عباس علي موسى

إقليم كردستان العراق، الذي كانت له حكايةٌ مرةٌ وصعبة مع اللجوء في تاريخها القريب، واجترّت آلامه، صارت اليوم حاضنةً لموجة نزوحٍ كبيرة من سوريا التي تعاني من ويلات حربٍ، اشتعلت فتيلها بين مدنيين عزل يطالبون بالكرامة والحرية وبين أدوات القمع التي ارتقت إلى القتل سريعاً، ومع غض طرف العالم برمته على المأساة الإنسانية في سوريا، أريقَ دمٌ كثير، وحدثَ ما يمكن وصفه بالتغريبة السورية، حيثُ اقتلعوا من أرضهم ودمّرت منازلهم، وتَهددهم الموت وشبحُ العوز والفقر، بين ركام الدمار الذي خلفته آلة قتل النظام نبتت حكايا عديدة، كان من بينها حكايا المخيمات، مخيمات اللجوء/مخيمات العودة.

حكومة الإقليم لم تبدأ باستقبال اللاجئين منذ بداية الثورة السورية، بل إنّ استقبالها للاجئين السوريين يعود إلى فترة ما بعد انتفاضة قامشلو ٢٠٠٤، والتي تُعدّ بحسب بعض المتابعين والنشطاء بداية التحرّك الشعبي ضد النظام، والصور التي نُشرت في عامودا عن إسقاط تمثال الأسد الأب وسط ساحة عامودا هي ذاتها مشهدُ طالبي الحرية بعد تاريخ آذار ٢٠١١، فبعد الانتفاضة الشعبية في قامشلو ٢٠٠٤ وملاحقة النظام للكثير من الضالعين والنشطاء في تلك الانتفاضة، وفصله للكثير من الطلاب الكرد، فرَّ العديد منهم واستقبلتهم حينها حكومة الإقليم.

وهذا الدور قامت بهِ إبّان اندلاع الثورة السورية وموجة النزوح السورية صوب دول الجوار، فعقب أحداث رأس العين–سري كانييه، ووصول القتال إلى المناطق الكردية بدأت موجة نزوحٍ كبيرة صوب إقليم كردستان، ومع أنّ غالبية اللاجئين هم من كرد سوريا لكنّ حكومة الإقليم لم تغلق الباب أمام السوريين، وهذا ما يؤكده المسؤولون، كما يؤكده وجود العديد من العوائل السورية من غير الكرد.

مخيم دوميز في اقليم كردستان العراق

تتحمل حكومة الإقليم أعباءً كبيرة وتحدياتٍ أكبر، فالجزء الأكبر من الدعم لهذه المخيمات تدفعها حكومة الإقليم والمنظمات الخيرية داخل الإقليم، هذا الأمر الذي يؤكده المسؤولون في هذه المخيمات، ففي مخيم دوميز مثلاً صرّح معاون محافظ دهوك «بهزاد علي آدم» وهو رئيس غرفة عمليات استقبال اللاجئين في دهوك لـ«الشرق الأوسط»، حينها بأنّ:«حكومة إقليم كردستان تتحمل ٨٠٪ من نفقات اللاجئين السوريين من أجل أن يعيشوا بكرامتهم، بينما لا تهتم المنظمات الدولية كثيرا بهم مثلما يهتمون بأمثالهم في الأردن ولبنان وتركيا»

وثمة ١٢ مخيّماً للاجئين في إقليم كردستان العراق، وحوالي ٢٥٠ ألف لاجئ سوري، أكبر مخيماتها على الإطلاق هو مخيم دوميز الذي سجلّ أكثر من ١٣٠ ألف لاجئ فيه، بينما يعيشُ فيه فعلياً حوالي ٨٥ ألفاً، ويتوزع الباقي في محافظة دهوك وريفها كمقيمين للعمل.

وربما من أكبر التحديات التي وقفت عائقاً أمام حكومة الإقليم هو التحدي الأمني، والتي كان من نتائجها الهجوم الإرهابي الأخير في أيلول ٢٠١٣ على الداخلية/الأسايش في هولير/أربيل، هذا التحدي كان من شأنه الحد من حركة اللاجئين السوريين في المخيمات إلى خارجها للعمل والتنقل، وكانت حكومة الإقليم سمحت للاجئين السوريين بالتنقل للعمل والزيارات داخل الإقليم.

نزوح مزدوج

لولا توفّر فرص العمل لمات أهلنا جوعاً

بمعاينة مخيمات اللجوء قد نلاحظ أن كثيراً منهم فرّوا إلى هنا، مع أنّ مناطقهم تنعم بالاستقرار النسبي إذا ما قورنت بمعظم المناطق السورية، وبخاصة إذا ما عرفنا أنّ المناطق الكردية قد استقبلت الآلاف من العوائل السورية من محافظاتٍ سورية أخرى، إلا أنّ السبب الأكبر هو في حالة الفقر العامة التي تعاني منها المناطق الكردية.

وعلى الرغم من كلّ ما يُقال من أنّ معظم اللاجئين السوريين في المخيمات في إقليم كردستان لا يشبهون اللاجئين في شيء، إلا أنّ المأساة تظهر جلياً هنا وهناك، فالكثير منهم قد فرّ جراء الحصار الاقتصادي الخانق على المناطق الكردية، ويكفي أن تعلم أنّ سعر أنبوبة الغاز قد وصلت إلى ٨٠٠٠ ليرة سورية، إضافة إلى إغلاق المعابر الحدودية ما خلّف صعوباتٍ حقيقية في وجه المنطقة، ما دفع معظمهم للتفكير باللجوء إلى الإقليم كفرصة للعمل ودعم ذويهم، فآرام مراد كان صاحب محلّ صيانة ومبيع موبايلات في مدينة الحسكة، إلاّ أنّ عملهُ قد تضرر بشكلٍ كبير جرّاء انقطاع شبكة الاتصالات عن

المحافظة، وتوقف الشحن بين المحافظات، والخوف من السرقة، ما اضطره للجوء إلى مخيم كوركوسك في العاصمة هولير/أربيل، والعمل كعامل عادي في سوق البناء.

وثمة الكثير من العوائل التي لجئت إلى المخيمات قادمةً من دمشق، هذه العوائل كانت طيلة سنوات هاربةً من شبح الفقر والتهميش والعازة في المناطق الكردية إلى دمشق بقصد العمل، وما إن وجدت موطئ قدمٍ لها هناك حتى اندلعت الثورة في سوريا، مخلفة ما خلفته من الدمار جرّاء لجوء النظام إلى الخيار الأمني والعسكري لإخماد أي صوتٍ هادر.

هذه العوائل فرت من دمشق باتجاه مخيمات اللجوء في دول الجوار، وبالطبع كان لمخيمات الإقليم ومخيم دوميز بشكلٍ خاص الحصة الأكبر من هؤلاء اللاجئين، وبهذا يكونون قد هُجّروا، مرةً بمنهجيةٍ من قبل النظام، مرةً باستهداف لقمة عيشهم، ومرةً أخرى باستهدافهم ولقمة عيشهم سوية. فعبد الرحيم كان صاحب مشغل خياطة في منطقة القابون بدمشق وقد دمّر مشغله بالكامل في أثناء قصف قوات النظام المستمر للقابون، وهو الآن في مخيم دوميز يجترّ مرارة الذكرى وعزة العمل كربّ مشغل إلى عامل عادي في سوق العمل بمدينة دهوك.

يقول الكثيرون منهم صراحةً أنهم لم يأتوا إلى هنا بقصد اللجوء وهرباً من الأوضاع غير المستقرة بل هم هنا لتأمين لقمة العيش لأهلهم هناك، فظروف المعيشة الصعبة وغلائها جعل لقمة العيش صعبةً للغاية، وبخاصةً في المناطق الكردية ما وضع حملاً ثقيلاً على عاتق الشباب، الذين وجدوا فرصةً مناسبة للعمل وإعالة عائلاتهم في الداخل السوري.

عنصرية أم مصادفة

معظم اللاجئين في مخيمات إقليم كردستان هم من الكرد.

ليس بخافٍ على أحد أنّ معظم اللاجئين السوريين في إقليم كردستان هم من الكرد، إلاّ أنّ لذلك أسباب غير عنصرية كما يرى رائد محمد وهو ناشط مدني، يعزو رائد سبب ذلكَ إلى الجغرافيا، فمعظم النازحين في مناطق درعا وريفها ودمشق وريفها فروا إما إلى لبنان أو الأردن، كما أن معظم النازحين من مناطق ريف اللاذقية وإدلب فروا إلى تركيا بحكم قرب هذه المناطق من هذه الدول، ولذلك لا توجد نسبٌ كبيرة للسوريين غير الكرد في الإقليم، ومع ذلك فبإمكانك العثور على عوائل من مناطق سورية مختلفة ومن مللٍ مختلفة في هذه المخيمات.

مخيم دوميز في اقليم كردستان العراق

مخيمات تضج بالحياة

في مخيم دوميز والذي يعد أكبر المخيمات في الإقليم، سترى نبض الحياة، فالمخيم هو أقرب ما يكون إلى مدينةٍ صغيرة، فكل شيءٍ متوفر داخلها، ابتداءً من بعض الحرف اليدوية، وانتهاءً بمحلات لتأجير فساتين الأعراس، ومحلات صياغة الذهب، وبإمكانك رصد حركة العمال عائدين من أعمالهم في محافظة دهوك أو ريفها. وتوفّر حركة قطاع البناء النشط في الإقليم عملاً للكثير من اللاجئين الذين كان يزاول قسم كبير منهم هذا العمل أساساً في دمشق وحلب وباقي المدن الكبرى.

فالكثير من الشباب يعملون بشكلٍ متواصل ويضحّون حيوية ونشاطاً، بقصد دعم أهلهم وذويهم وتحسين أوضاعهم المعيشية، كما أنّ هناك الكثيرين منهم يعقدون أعراساً هناك في المخيمات ويتزوجون إشارة إلى الحياة.

الدراسة على المحك

إنّ أهم التحديات التي تواجه قطاع التعليم في المخيمات هو كثرة أعداد اللاجئين من مختلف الفئات العمرية، والتي خسرت دراستها في سوريا، فالمدارس القليلة التي تم انشاؤها لا تكفي بأية حال أعداد الأطفال، إضافةً إلى عوائق تتعلق بمسألة المناهج والكوادر التدريسية، بالإضافة إلى أنّ هناك فئةً من الأطفال الذين يحتاجون إلى برامج خاصة سواء أولئك الذين هم من ذوي الاحتياجات الخاصة،أو أولئك الذين يعانون من مشاكل نفسية عميقة، وبحاجة إلى رعايةٍ وبرامج خاصة، كأولئك القادمين من مناطق القصف أو الذين شهدوا بأعينهم أحداثاً دامية.

هذا وإن حاولنا أن ننظر في وضع طلاب المراحل الأخرى وبخاصة الجامعية نجد أنهم يعانون الأمرّين، فالخوف من ضياع المستقبل شبحٌ يطاردهم دوماً، إذ إن الكثيرين ممن تقدموا بطلباتٍ للجامعات في الإقليم، سواءٌ لإكمال دراستهم أو الالتحاق بأقسامٍ جديدة حسب الشهادة الثانوية، يعدّون بالآلاف كما ذكر لنا الكثيرون منهم، فالجامعات تضعُ طلباتهم في الأدراج، فالطالب آزاد محمد كان طالباً في الفيزياء في جامعة الفرات، اضطر لترك جامعته نظراً لظروف المدينة الصعبة وأوضاع أهله الصعبة، فأشار إليه بعض الأصدقاء بالتقدم لإحدى الجامعات في الإقليم إلاّ أنه متخوفٌ من فقدانه لدراسته، لأنه لم يحظ بالقبول هذا العام في أية جامعة، وسيضطر للانتظار سنةً أخرى، وكذا يبدو أن هنالك مصاعب أخرى تتعلق باللغة، فبعض الأقسام العلمية يجرى تدريسها بالإنكليزية وهي جديدةٌ كلياً بالنسبة لطالب، وإما هي بالكردية الصورانية التي تعتبر صعبة بالنسبة إليه.

إنّ أكثر ما يقلق الطلاب هو الخوف من ضياع فرصة الدراسة ومعها المستقبل.

التغريبة السورية بدأت منذ وعي النظام لضرورة القتل كأسلوبٍ للبقاء، بقائه، هذه الحقيقة التي يمضي فيها النظام على الرغم من مرور ثلاث سنوات على الثورة ودخولها في عامها الرابع، اللاجئون يعيشون مأساةً مزدوجةً ما بين خوفٍ من مستقبلٍ مجهول، وحاضرٍ مرّ، قدمٌ للعودة وقدمٌ للفرار، ولكليهما عينٌ للدموع.

اللجوء السوري والخطاب العنصري في لبنان

أحمد عيساوي

مع ازدياد أعداد اللاجئين السوريين القادمين إلى لبنان، بدأ خطاب معيّنٌ يأخذ منحى متطرفاً في ترسيخ جديد لعنصريةٍ كانت سابقةً لفتراتٍ طويلة على هذه الموجة الصاعدة، طالت من طالت من أجانب ووافدين نتيجة ظروف شتى في مقدمتها اللجوء (طوعياً أو قسرياً)، ويبدو جلياً اليوم أنّ النظرة العدائية التي وسمت هذا الخطاب لم تعد تقتصر على تياراتٍ وجهاتٍ سياسية، بل أصبحت منهجاً يستظرف جمهورٌ واسعٌ ممارسته، ويتغنى جمهور آخر به على أنه مدماك أساسٍ لبناء «وطنية» حقيقية، أو حاجة رئيسية في معارك سياسية وانتخابية.

بدايةً لا يمكن الحديث عن اللجوء السوري إلى لبنان دون الاعتراف فعلياً بوجود أزمةٍ تتعلّق بكيفية إيجاد خطةٍ قادرةٍ بدرجةٍ أولى على استيعاب الأعداد المتزايدة من الوافدين، وتأمين احتياجاتهم بدرجةٍ ثانية. ومشكلة اللجوء ليست حدثاً طارئاً على بلدٍ يضم حوالي مليون لاجئٍ فلسطيني يتوزّعون على مخيمات بيروت وضواحيها والشمال والجنوب.

على أنّ العنصرية أيضا ليست وليدة الساعة في لبنان، وليس السوريون أول ضحاياها ولا هم آخرها في المدى المنظور. ما هو جديد في الأمر أن العنصريين تعددوا وتشعبوا وتمترسوا خلف حججٍ واهية، وغلّفوها بإطارٍ وطنيٍ محافظ، في محاولةٍ فاشلةٍ لتوصيف واقعٍ صعب أسسّه وجود السوريين على الأرض اللبنانية.

سيكولوجيا اللبناني العنصري

ليست العنصرية مظهراً جديداً في الحياة اليومية في لبنان، وكما أسلفتُ سابقاً تعدّدت الموجات العنصرية وطالت فئات متنوعة من عمال أجانب وخادمات في المنازل من جنسياتٍ إفريقية وآسيوية. ويُسجّل سنوياً آلاف حالات الاعتداء اللفظي، ومئات حالات الإعتداء الجسدي على هذه الفئات، يصل بعضٌ منها إلى القتل والتشنيع أو حتى التعذيب النفسي. يبقى أنّ السوريين المتواجدين في البلاد قبل بداية الثورة في آذار ٢٠١١ كانوا قد خبروا تلك النظرة العدائية من جمهورٍ (يحسب نفسه اليوم على الثورة)، خاصةً بعد اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، والمظاهرات التي أعقبت الاغتيال والتي أفضت إلى خروج القوات السورية في نيسان–إبريل ٢٠٠٥. حمل خطابٌ لبناني معيّن على مدى سنواتٍ نفساً شوفينياً، يستعدي كل أجنبيٍّ على أرضه، ويرى فيه سبباً مباشراً أو غير مباشر لمشاكل يواجهها أصلا. تجسّد الخطاب في قوى يمينية حملت لواء الدفاع عن لبنان بوصفه كياناً نهائياً لجماعاتٍ تراها تلك القوى والتيارات متقدّمةً على غيرها، فبات طرد «الأغراب» حاجةً وطنيةً ملحة في خطابات إعلامٍ حرّض ولا زال يحرّض يومياً ضد كل من هو مختلف عنه في الجنسية والثقافة والتكوين الإجتماعي.

العنصرية إذن حالةٌ مرضية نفسيةٌ تعتري المجتمع اللبناني، وحالة من حالات التعصب البدائي أو المكتسب بتفاوت درجاتها، والتعصب سيكولوجياً ظاهرةٌ نفسية موضوعها تأكيد الذات، وهذه ظاهرةٌ عامة، ولكن التعصب العنصري تطرفٌ في تأكيد الذات ومغالاة في ترفيعها لدرجة أنّ الفرد المتعصب عنصرياً لا يرى العالم إلا في ميدان ذاته الضيق، فيتسم سلوكه بالمظهر العدواني، وكما يقول «هامبري» في كتابه «أمريكا السمراء» أن التعصب نوعٌ من أنواع النرجسية، فمغالاة الأفراد في حب بيئتهم يدفعهم إلى مقت وكراهية الآخرين الذين يختلفون عنهم، ويحول بينهم وبين التفكير السليم، ولهذا فالجماعة بالنسبة للتعصب تنقسم إلى قسمين: جماعةٌ داخلية، وجماعة خارجيةٌ، لأن التعصب يؤدي إلى عزل الجماعات المتعارضة، وفي حالة التوتر الداخلي للجماعة المتعارضة، وفي حالة التوتر للجماعة المتعصبة يتسم سلوكها بالعداء الخارجي نحو الجماعة المتميز عنها في المظهر، فتكون كبش الفداء «وتحميل البعض وزر غيره» ويزداد اضطهادها ومعاداتها كلما رافق هذا السلوك العدائي تبريرات وإشاعات مفتعلة تمس الجماعة المضطهدة، وخاصةً إذا كانت جماعةً ضعيفة «فالضعيف يشجع الناس على الاعتداء عليه» كما يقال.

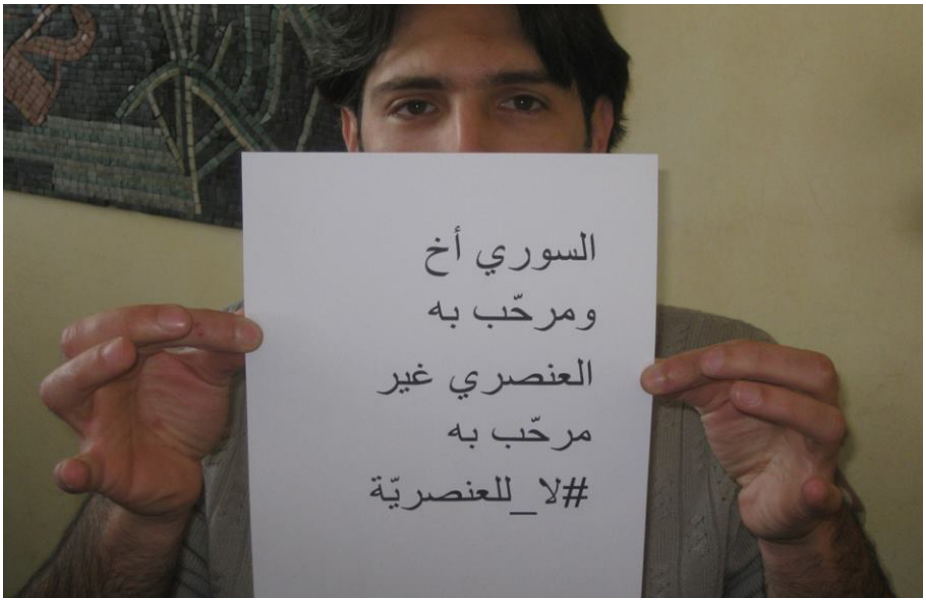

الحملة الداعمة للسوريين بوجه العنصريّة

في حاضر العنصرية تجاه اللاجئين

في حين تبدو العنصرية تجاه السوريين شبه غائبةٍ في المجتمعات البقاعية والشمالية للبنان، ومردّ ذلك إلى العلاقة التاريخية مع العمق السوري واتصالها الجغرافي والديمغرافي مع البيئة الحمصية والشامية، أضف إلى ذلك تقاطع مصالح الفئات في تلك المجتمعات، ولجوئها إلى نمط معيشةٍ متاشبه يعتمد في جزءٍ كبير على الزراعة والصناعة (مع وجود مهربين في طرفي الحدود). تبدو الصورة أكثر تعقيداً في البيئة التي تنطوي على تشابكٍ سياسي أو طائفي، بين من هم محسوبون على النظام السوري أو كانوا مناوئين له.

في المجتمعات المدنية (بيروت–وسط البلد) لا يمكن للبنانيين أن يمارسوا عنصريتهم، لأن السلوك الدوني تجاه من يعتبرونهم أضعف أو أفقر أو أقل منهم يغيب تماماً بفعل تواجد أثرياء حلب ودمشق في الحمرا وفردان وغيرها من المناطق التي

عوّض لها هؤلاء غياب المواسم السياحية.
في البيئات الأقلوية (الأشرفية مثالا) تتبدّى العنصرية مصحوبةً بالقرف والخوف من مصيرٍ جماعيّ نتيجة وجود «دخلاء» على مناطقهم. يقول أحدهم في فيديو مصوّر لجريدة النهار أعدّته جوانا جرجورة: «شو جابن لعنا؟ زادtraffic؟» وتضيف صبية: «اخدوا محل اللبناني بالشغل ومن وقت ما اجوا ارتفعت نسبة الجرايم». هذا غيضٌ من فيض، وعيّنةٌ بسيطة من شارعٍ تغذّى على مفاهيم راجت في فترة الحرب على لسان كتائبيين وقواتيين «الأجانب غرباء قتلة، محتلون ويجب طردهم» دون أن يميز هؤلاء بين عسكريٍّ محتل ومدنيّ اضطرته الظروف للجوء إلى لبنان. (مع التذكير أنّ هؤلاء أنفسهم كانوا دعاة تدخلٍ عسكري في لبنان سنة ٧٦ لمواجهة الحركة الوطنية وتصاعد نفوذ الفدائيين وهذا حديث يطول..)
تكرّر الخطاب في ساحة ١٤ آذار «ما بدنا كعك بلبنان الا الكعك اللبناني» في إشارة واضحة إلى تحميل السوري مسؤولية اغتيال الحريري، فيصبح السوريون المتواجدون على الأرض اللبنانية هدفاً لموجاتٍ انتقامية وصلت إلى حد المطالبة بخروج كلّ سوري من لبنان. هنا لا بد من العودة إلى شخصٍ مفصلي في ١٤ آذار ومحوريتها، لا بد من الإشارة إلى شخص سمير قصير، الأصدق والأجمل والأكثر وفاءً لحلم سوريا كما حلم لبنان. سمير ورفاقه وتقدميون وديمقراطيون رفضوا كل هذه المفاهيم والإسقاطات العنصرية وتصدوا لها في الساحات وفي المقالات الأسبوعية وفي العمل بشكلٍ جديّ على خلق روحٍ أخويةٍ بين مصير اللبنانيين والسوريين.
اليوم، يحتلّ العونيون (تيار ميشال عون) بوزرائه ونوابه وقاعدته الجماهيرية المرتبة الأولى في استحداث العنصرية وإخراجها إلى العلن على شكل خطواتٍ ومناهج للبحث والنقاش. لا يتوانى جبران باسيل «الوزير العوني» عن عقد المؤتمرات الصحفية للحديث عن مخاطر اللجوء السوري والأثر البالغ الذي تركه سوريون على الحياة الإقتصادية والإجتماعية، ومؤخرا (أصبح السوريون مسؤولون عن تفاقم الضرر الناتج عن ثقب الأوزون).
المعارك الانتخابية التي يبتغيها المسؤولون العونيون تحيلهم إلى الإبداع في حقل العنصرية، شارعٌ مسيحي بحاجة إلى صوتٍ قادر على حمايتهم من الخطر الدافق من الأكثرية المتواجدة خلف الحدود وداخلها.
يذهب المبررون لذلك الخطاب إلى الخوف من اصطفافٍ طائفيٍّ للاجئين، ويكررون دائما أنّ وجودهم بات يشكل بيئةً حاضنة للإرهابيين الذين يدخلون لبنان للقيام بتفجيراتٍ إرهابية. عدا عن التكرار «العلمي» لأضرار ومشكلات اللجوء على الوضع الاقتصادي (يخيّل إليك أن لبنان كان يحتل مراتب متقدمة من حيث مستويات الدخل الفردي والرفاهية وغياب البطالة واستباب الأمن).

خلاص لبنان من خلاص سوريا

المسألة في غاية البساطة: هنالك سوريون فتحوا بيوتهم ومناطقهم لأكثر من ٨٠٠ ألف لاجئ لبناني في حرب تموز (صيف ٢٠٠٦) وأظهروا كل الود والإحترام لشعبٍ شقيق اضطرته الظروف أن يحلّ ضيفاً على أرضهم، هؤلاء أنفسهم يتعرضون لإهاناتٍ متواصلة منذ بداية الثورة، سواءٌ بالمشاركة أو بتأييد ودعم قتلتهم من قوى لبنانية واضحة، خرجوا اليوم من بلادهم وعليه يغدو كل صوت يدعو إلى الترحيل والتخلص من هذا الوجود صوتاً يجب محاربته والتصدي له ومحاسبته.
أعود إلى سمير قصير لأقول أنّ حلمه فينا لن يتحقق الا في وعينا أنّ الاستبداد الجاثم على صدور السوريين منذ عقود، هو نفسه الذي أذى لبنان ودمّر الحياة السياسية فيه وقضى على مقاومته الوطنية، وأنّ معركة السوريين في سعيهم للتخلص من هذا الإستبداد وكل استبداد جديد هي معركة كل حرٍّ في لبنان.
وعلى ما يقول رفيقي ويليام عن السيد المسيح أنه ينادي المتعبين وثقيلي الأحمال «تعالوا إليّ..» وأنا كما ويليام، أحب المعذبين والمطرودين واللاجئين وهم ضيوفٌ في بلادنا إلى حين نرفع شارة النصر معاً في دمشق وبيروت، نصر لحريتهم ولإنسانيتنا.

طفل سوري في مخيم عرسال

خيمة السوري جسدهُ

وائل زكي زيدان

كان يواظب يومياً على التسلل بين المنازل المتناثرة والمهجورة التي تفصل المدينة عن حاجز النظام، مُسلّحاً بمنظارٍ حربي، مستغلاً تضاريس الأرض والأعشاب حبواً أو زحفاً على الأشواك، فقط من أجل الوصول إلى بيتهِ والاطمئنان عليه. وأية غلطةٍ أثناء هذه المجازفة المجنونة سيكون ثمنها حياتهُ، خصوصاً أن المسافة بين منزلهِ وبين أول متراسٍ لجنود النظام ١٥٠ متر!.

سألتهُ زوجتهُ مرّةً وقد كان وجهُهُ يقطُرُ بالمرارة، كيف الحال؟ فأجابها أنه لم ينجح اليوم بدخول البيت، ففيما هو يتقدّم زاحفاً نحو الباب، وما إن اجتاز برأسهِ العَتبة حتى فوجئ بكلبٍ يهدر في وجهه!، لذلك آثر الانسحاب والتراجع كي لا يتطوّر الأمر إلى عواء وعندها ستكون الكارثة.

حدثت تلك القصة في مدينة تلبيسة، فكثيراً ما يخاطر أصحاب البيوت الواقعة على الجبهة بحياتهم من أجل أن يلقوا نظرةً على منازلهم. لأن البيت بالنسبة للسوري كما أعتقد يتجاوز مفهوم المكان الذي يسكن فيه المرء ويخلد فيه للراحة والتأمل، أو الحيّز الذي يشعر داخله بالاستقرار. فبالإضافة لخاصيّة الأمان، يضيف السوري خاصيّة الوطن ليغدو بيتهُ بمثابة وطنٍ آخر داخل وطن، من هنا يطلق السوريين على صحن البيت وهو باحة كبيرة تتوسّطهُ، يطلقون على تلك الباحة اسم /أرض الديار!/.

تلك الجاذبية التي تنشأ بين السوري ومنزله تصبح أقوى حين يكون البيت من خلقهِ وإبداع يديه، وبالتالي عاكساً ماديّا لثقافتهِ وشخصيتهِ. لقد عُرِف عن السوري منذ القدم اهتمامه بالمنزل الخاص، حتى غدت البيوت السورية القديمة في دمشق وحمص وحماه أحد أهم الآثار وتحت حماية المنظمة العالمية للآثار، لفنّيتها العالية في الهندسة المعمارية، فهي بحسب النقّاد «تمنحك أجواءً جميلةً تشعرك بالراحة، وتعطي انطباعاً مميزاً وإحساساً خاصاً بأنك سلطانٌ في هذا المكان».

ثمة بيوتٌ لسوريين مازالت حتى الآن قائمةً وموثّقةً في فلورنسا والبندقية بإيطاليا لعائلات تجّارٍ منذ القرن السادس عشر، وكان من الممكن نظراً للمكانة التجارية التي لطالما تمتّعت بها المدينتين السابقتين، الإقامة في أماكن مؤقتة كفندق أو خان وما أكثرها.

إن سياسة حرق البيوت للناشطين السلميين، ثم لاحقاً تدمير أحياء وقرى بكاملها يعزّز الاعتقاد باغتراب هذا النظام عن الوطن الذي يحكمه، وبجرّده من أية علاقةٍ تربطه بتاريخه، لأن الهمجية لا تنتمي لوطنٍ أو أرض، بل إن هذا التدمير الهائل هو محسوبٌ وممنهج، سواءٌ بواسطة طائرات الميغ أو القصف العشوائي أو البراميل المتفجرة. ويهدف إلى نزع خاصيّة الأمان التاريخية التي يحملها البيت، ويشوّه مفهوم الوطن الصغير في وجدان كل سوري، جاعلاً البيت يخسر لقبه العريق بتوفير الحماية، وهذا ما دفع السوري أكثر فأكثر للإحساس بأن جسده هو المكان الأخير المتبقّي الصالح للاختباء، فكم من العائلات التي تركت بيوتها هرباً من القصف لتجد نفسها في العراء تحت رحمة ظروفٍ مناخيةٍ سيئة. وفيما بعد سيترك كل هذا تأثيراته على الطفل السوري، فمن معرض لرسوم الأطفال السوريين بأنطاكية والتي نجح الفنان التشكيلي خليل حم سورك بتهريبها من مدينة الرقة، سوف لن تخلو أية لوحةٍ من بيت مرسوم، والمذهل أن تلك الرسوم جميعها تكاد تكون خالية من الطائرات أو دبابات!.

يفسّر المختصون رسم الطفل للبيت، بأن الطفل يبحث عن الاستقرار والرغبة بتكوين عائلة، وأحياناً في كونه يفتّش عن ملجئٍ لأنه يشعر بالقلق وانعدام الأمان.

وفي ظل هيمنة النظام لعقودٍ على جميع مفاصل البلد وفرضه ظروفاً اقتصاديةً متردّية، كان على الشاب السوري أن ينفق ٢٠ سنة من عمره حتى ينعم بمنزله الخاص وكثيراً ما يتعاون الأخوة في سبيل ذلك، الأمر الذي جعلهُ –أي النظام– يوسّع الهوّة بين الإنسان السوري ومفهوم الأمن والأمان. ذلك المفهوم الذي زوّرهُ كعادتهِ بقلب المفاهيم وتشويهها ليقتصر المفهوم حسب وسائل إعلامه على أن الأمان هو عدم وجود قوة استعمارية خارجية في الدرجة الأولى، وخلو البلد من التنظيمات الإرهابية ذات الطابع الدولي في الدرجة الثانية واختزل مفهوم الأمان كلّه وربطه بشخص الرئيس، لذلك سخّر النظام كل طاقاته المخابراتية منذ بداية الاحتجاجات السِلمية لاستجلاب الأمرين معاً، ولم يتوقف ليومٍ واحد عن إلقاء البراميل المتفجرة والقصف العشوائي على المدن والبلدات لتكريس المعادلة القديمة التي تقول «الأمان مقابل شخص الرئيس»، وبذلك لم يبق أمام السوري سوى جسده يتنقل به من مكان إلى مكان كخيمةٍ أخيرة ينصبها في عصرٍ متوحش.

طفل سوري لاجيء

عن اللجوء...والسوريين

علي صدر الدين حمودي

مخيم الزعتري – الأردن

حق اللجوء هو مفهوم قضائي قديم، يقضي بإعطاء الشخص الذي يتعرّض للاضطهاد بسبب آرائه السياسية أو المعتقدات الدينية في بلده –والتي قد تكون محميةً من قبل سلطةٍ أخرى ذات سيادة، أو بلدٍ أجنبي– الفرصة له للتعبير عن آرائه.

مصطلح اللجوء:

تعريف اللاجئ حسب ما جاء في قانون تنظيم اللجوء رقم ٤٥ لسنة ١٩٧٤م (قوانين معتمدية اللاجئين): «كلمة (لاجئ) تشمل كل شخصٍ يترك القطر الذي ينتمي إليه بجنسيته خوفاً من الاضطهاد أو الخطر بسبب العنصر أو الدين أو عضوية جماعة اجتماعية أو سياسية، أو خوفاً من العمليات الحربية أو الاعتداء الخارجي أو الإحتلال أو السيطرة الأجنبية أو الاضطرابات الداخلية، ولا يستطيع أو لا يرغب أحد بسبب ذلك الخوف من الرجوع إلى قطره، أو كان لا جنسية له ولكنه ترك القطر الذي يقيم فيه عادةً بسبب تلك الأحداث ولايستطيع أو يرغب بسبب الخوف في العودة إليه.»

ويشمل مصطلح (لاجئ) أيضاً الأطفال الذين لا يصطحبهم كبار، أو الذين هم أيتام حرب، أو الذين إختفى أولياء أمورهم ويوجدون خارج الأقطار التي ينتمون إليها.

أما بالنسبة لحالة اللجوء السوري، فهي حالةٌ لا تشبهها حالةٌ أخرى، شعب كاملٌ يضيع مابين النزوح الداخلي والهجرة الخارجية، أطفالٌ بأحسن الأحوال ليسوا يتامى، ولكن بلا وطنٍ ولا مستقبل واضح، ولا حياة إنسانيّة تكفل لهم تربيةً وتنشئةً لائقةً وصالحةً لبناء مستقبل دولة، مجتمعاتٌ يسكنونها مابين رافضةٍ لهم وقاسيةٍ عليهم، ثقافة وعاداتٌ وتقاليدٌ وتاريخٌ طويل هو كل ما تجده في حقائبهم القليلة التي نجت من الدمار، والسرد يطول!

اللجوء السوري في المملكة الأردنية الهاشمية:

كان للمملكة الأردنية موقفٌ واضح وصريح تجاه ما يحدث في سوريا منذ بداية الثورة، فقد أعلنت ودونما تردد أنها تدعم مطالب الشعب السوري بالحرية والكرامة والمستقبل الواعد، وترفض الأسد بكل أشكاله وألوانه، وعلى الفور تم فتح الطريق أمام جميع السوريين القادمين من سوريا، وكان ذلك منذ بداية الأحداث السورية، وفي بلد يُعد فقير الموارد، ويعيش أزمةً اقتصادية، بدأ الوضع يتغيّر على جميع الأصعدة نحو الأسوء، ففي البداية كان عدد اللاجئين قليلاً يقتصر على القادمين من المناطق القريبة من الحدود السورية الأردنية، وكانت الحكومة الأردنية بالتعاون مع المنظمات الإنسانية والإغاثيّة العالمية والمواطنين الأردنيّين قد تكفلت برعاية من دخل أراضيها مُستجيراً، ومع مرور الزمن بدأ عدد اللاجئين يزداد بشكلٍ كبيرٍ، وبتسارعٍ غير متوقع، وبحسب إحصائيّاتٍ قامت بها الحكومة الأردنية والمنظمات الإنسانية والحقوقيّة والإغاثية كاليونسيف والمفوضية السامية لشؤون اللاجئين واليونيسكو، فإن تعداد اللاجئين السوريين كان في بعض الفترات كالتالي:

في شهر آب/٢٠١٢ كان عدد اللاجئين السوريين خمسة عشر ألفاً.

في شهر تشرين الثاني/٢٠١٢ تضاعف العدد ثلاث مرات ليصبح خمسة وأربعين ألفاً.

في شهر ايار/٢٠١٣ أصبح العدد مائةً وخمسين ألف لاجئ.

و في عام ٢٠١٤ نجد أن هناك عشرين ألف كرفان، بالإضافة إلى ثلاثة آلاف خيمة بحسب تصريح الناطق الرسمي باسم المفوضية السامية.

و يبلغ الآن عدد اللاجئين السوريين حوالي المليون وثلاثمئة ألف ينتشرون في جميع أنحاء المملكة.

وأما بالنسبة لصفة اللاجئ في الأردن والتي يحصل عليها القادم من سوريا، فهي تكون عبر تقديم طلبٍ من الشخص نفسه يطلب فيه اللجوء، وهو أمرٌ متعارفٌ عليه دولياً، حيث أنه يمكن أن يتم بهذه الطريقة، أو أن يكون بتحميل جميع القادمين صفة اللجوء دونما الرجوع إلى طريقة تقديم الطلبات، خاصةً وأن طرق الدخول تعددت وكثرت، فمنها الشرعي الذي يكون عبر الحدود البرية والبحرية والجوية، ومنها مايكون بطريقةٍ غير شرعيّة ، ولابد من التوقف عند هذه النقطة المثيرة للجدل.

الدخول اللاشرعي إلى الأردن (عقبات ومخاطر):

وهو تجاوز السوريين الحدود من غير تأشيرةٍ أو جواز سفر أو التزامٍ بالقانون الذي يضبط التنقلات السورية الأردنية، وفي ذلك مخاطر كبيرة، فطريق الهروب من سوريا يمر بمناطق ما زالت تحت سيطرة النظام، وأخرى مُتنازعٌ عليها، وقد يتخلّل الطريق مناطق اشتباكات مسلحة، مما سبب الكثير من حالات القتل الخطأ بانفجاراتٍ أو سقوط قذائف، أو القتل المتعمد من قبل قوات النظام، وفي بعض الأحيان قد يطلق حرس الحدود الأردنية النار إذا استشعر الخطر من القادمين، وهنا تبدأ معاناةٌ جديدة، إذ أن هناك الكثير من المصابين من الجيش الحر أو المدنيين يتم إسعافهم إلى النقاط الحدودية الأردنية، تحديداً إلى المستشفيات الحكومية، مدير مستشفى الرمثا الحكومي السابق قاسم المياسي، أكد أن المستشفيات والمراكز الصحية في الشمال الأردني، «تستقبل كل المرضى السوريين من مراجعين، أو جرحى عبر الحدود.»، حيث استقبل مستشفى الرمثا في عام ٢٠١٣ المصابين والجرحى السوريين بأعدادٍ وصلت إلى أكثر من (٢٥٠٠٠) حالة

عبر الحدود، وأجريت (٢٢١٦) عملية بمختلف الاختصاصات، وتمّ تحويل حوالي (١٨٠٠٠) حالة إلى مختلف مستشفيات المملكة. الطبيب السوري المقيم في الأردن أسامة المحاميد أكد أن هناك مشاكل تواجه بعض الحالات على الحدود، كـ«عدم وجود آليةٍ معتمدة وواضحة يُستقبل على أساسها الجريح، فيتم إرجاع بعض الحالات إلى سوريا حسب (مزاجية) المناوب على الشيك الحدودي، وليس بتوجيهاتٍ من السلطة الحاكمة». وقد أوضح الدكتور أسامة أن المعاناة الأكبر للجرحى تبدأ بعد الانتهاء من العمل الجراحي، إذ يتم إرسالهم إلى نقطة الاستقبال والترحيل المعروفة بـ (رباع السرحان)، ليُحول البعض إلى مخيم الزعتري، بينما يرجع البعض الآخر إلى سوريا قبل الشفاء التام، بالتنسيق مع الحاكم الإداري الذي يقدر حسب التقارير الصادرة من المشفى إرجاع أو إبقاء الجريح، وقد أرجعت الكثير من الحالات الخطرة كعمليات البتر مثلاً، ناهيك عن بعض حالات سوء المعاملة للجرحى (كالتقييد بالأسرّة) كما يقول أحد شهود العيان، ولابد من التنويه من دون الإطالة إلى أن اتفاقية جنيف تنص على احترام وحماية الجرحى والمرضى والمنكوبين، أياً كان الطرف الذي ينتمون إليه، وأن يعامل أيٌّ منهم معاملةً إنسانية وأن يلقى الجهد المستطاع وبالسرعة الممكنة، والرعاية الطبية التي تتطلبها حالته، كما يجب عدم التمييز بينهم لأي اعتبارٍ سوى الاعتبارات الطبية.

مخيم الزعتري، والقلق من التوطين!

أقيم هذا المخيم شرقي منطقة «المفرق» بحوالي عشرين كيلو متراً (شمال شرق الأردن) بعد شهر يوليو/تموز ٢٠١٢، ولا يضم المخيم اللاجئين السوريين الذي لجؤوا للأردن قبل تاريخ ٢١ يوليو/تموز ٢٠١٢ أو اللاجئين الذين عبروا الحدود بالطرق الشرعية بعد ذلك التاريخ. معظم سكان المخيم من محافظات درعا والقنيطرة ودمشق وريفها وحمص.

وقد كثفت الحكومة الأردنية جهودها تجاه هذا المخيم بالتعاون مع مختلف الجهات المهتمة، في محاولةٍ منها لتوفير أكبر قدرٍ مستطاع من وسائل الحياة للاجئين، وذلك في الوقت الذي أعلنت فيه الأمم المتحدة أنها ترى (أن العام ٢٠١٤ سيشهد نزوح ٤ مليون سوري إلى دول الجوار، في ظل عدم وجود أي أفق حل للأزمة السورية، و أنّ عدد البيوت المهدمة في سوريا بلغ المليون ومائتي ألف، أي مايساوي تقريباً ثلث عدد منازل سوريا)، في حين أن هناك مخيمات جديدة بدأت بالنشوء من غير بنىً تحتيه، وبطرقٍ عشوائية وغير منتظمة، هذه المعطيات الأربع (عدد البيوت المهدمة، تقديرات الأمم المتحدة، تطوير البنى التحتية لمخيم الزعتري، ظهور مخيمات جديدة) بالإضافة إلى عدم قدرة أحد على تخمين مستقبل سوريا والسوريين؛ يسبب كابوساً ملازماً للاجئين السوريين في الأردن؛ حيث يقرؤون هذه المعطيات على أنها بدايةُ نهايةِ أحلامهم في العودة إلى الديار !!

أطفالٌ في اللجوء:

استفاض الإعلاميون في نقل صور معاناة الأطفال السوريين في بلدان اللجوء، وفي طريقة دخولهم ومشاكل صحتهم وإطعامهم وغيرها من مشاكل، ولكن ما يركز عليه الآن المتابعون والباحثون والمهتمون في شؤون الطفل هو (وماذا بعد؟؟!!) المستقبل قادم، ومن كان أمس مختبئاً في حضن أمه هو اليوم في عمر طلاب المدارس (بدون مدارس)، أو بدأ مراهقته وشبابه، ولكن المشكلة ليست فقط حال هؤلاء، بل المشكلة في عشرة آلاف طفل سوريّ ولدوا في اللجوء مع مستقبلٍ مبهمٍ تضيع فيه أقل الحقوق!! فأغلب هؤلاء الأطفال لم يُسجلوا في الأحوال المدنية في سوريا أو الأردن على حدٍّ سواء، ولا قيود رسمية لهم، فالكثير من السوريين لم يوثقوا عقود زواجهم بكلتا الدولتين، وهذا أدى إلى ضياع نسب المواليد الجدد. خاصّةً أن هناك ٦٠ حالة زواج يومي بين سوريين بلا أوراق ثبوتيه، وهذا ما دفع ناشطين إلى التقدم بطلبٍ للحكومة الأردنية لإنشاء محكمةٍ شرعية في الزعتري لتسيير معملات السوريين من زواج وطلاق وتسجيلٍ للمواليد الجدد، وما إلى هنالك من معاملاتٍ أخرى، وقد تمت الموافقة على هذا الطلب مبدئياً، في الوقت الذي لم يتوقف النشاط على أرض الواقع لمحاولة الحدّ من أزمة الطفولة، فقد قامت المدارس الحكومية باستقبال الأطفال السوريين الذين بلغ متوسط عددهم في المدرسة الواحدة (١٠٠) طفل، بالإضافة إلى ظهور محاولاتٍ فردية يقوم بها ناشطون، كالمدرسة التي أسستها مجموعةٌ من النساء السوريات في جبل التاج في عمان من دون أي دعم، وذلك لمحاولة التّشجيع على إعادة تأهيل الجيل الجديد، ولابد في هذا المقام من التعريج على ذكر مجموعة (البراعم) التي انطلقت من مواقع التواصل الاجتماعي، إلى العمل على أراضي الأردن ولبنان، ولا يقتصر العمل فيها على السوريين، بل هناك أيضاً شبابٌ أردنيين في الأردن، وقد كان الإتفاق الرسمي في هذا التجمع هو منع استخدام صور الأطفال منعاً باتاً، لكي لا تكون سلعة بيد تجار الأزمات الساعين للحصول على الأموال باسم الأطفال، وقد قامت براعم بتغطية احتياجات (٧٠٠٠) طفل بالزعتري من ملابس شتوية وأحذية مانعة للتسرب.

أمام المفوضية، وفي الشوارع:

ليست المشكلة فقط في الخيام أو الكرفانات، أو في شحّ المساعدات الإنسانية، المشكلة تبدأ من أقل تفصيل ابتداءً من ساعات الإنتظار الطويلة التي تقضيها العائلات أمام مقرات المفوضية السامية، يقول الناشط (نديم): «**مئاتٌ** من النساء والأطفال تجدهم يومياً على باب المفوضية منذ ساعات الصباح الباكر وحتى المساء، فيهم الأطفال والنساء والعجائز وأيضاً الجرحى، إذ لابد من موظفي المفوضية أن يروا بأعينهم الأشخاص الذين يقومون بتسجيلهم، لتفادي التجاوزات التي قد تحصل، مما يسبب التعب والإرهاق الشديد للموظفين واللاجئين، وبعض الفوضى نتيجة ذلك، على الرغم من أن جهودهم الكبيرة في خدمتنا» يقول الشاب (وائل): «إنهم يقدمون لي كوبونات شراء بقيمة أربعة وعشرين يورو شهرياً على دفعتين، وتُصرف من أحد المولات المتعاقدة مع المفوضية، وفي بلد مثل الأردن مبلغٌ كهذا لا يكفيك لأكثر من ثلاثة أيام للبقاء حيّاً، ناهيك على أنني سأدفع مواصلات أكثر من قيمة الكوبونات لأصل إلى مقر المفوضية لاستلامها، لذلك توقفت عن أخذها منذ زمن بعيد»، ويضيف «أما العائلات فقد يحصلون على مبلغ قد يساوي أجار منزلهم فقط!».

وفي ظل نقص المساعدات الإنسانية والتدهور الإقتصاد الأردني والارتفاع الشديد في الأسعار،

يحاول بعض الشبان الانخراط في سوق العمل، خصوصاً وأن اليد العاملة السورية مرغوبةٌ بشدّة في الأردن لمهارتها، وقلّة أجورها بسبب الحاجة، مما سبب الكثير من المشاكل والتي تبدأ مع الشباب الأردني الذي بدأ يرى في ذلك خطراً حقيقيّاً على مستقبله في العمل، فبدأت بعض الأصوات المعارضة للعمالة السورية بالظهور، ووصل الأمر إلى منع السوريين من التوظيف أو الحصول على ترخيص العمل، تحت طائلة الاعتقال والتحويل إلى مخيم الزعتري، وتغريم صاحب العمل بمبالغ تصل إلى خمسة آلاف دينار أردني، مما يجعلنا عاجزين حتى عن التعليق على هذا الأمر!!، ناهيك عن التعاطي السلبي للكثير من وسائل الإعلام مع قضية العمالة السورية، إذ أنّ شماعة اللاجئين السوريين حاضرةٌ دائماً لتبرير أي تقصيرٍ أو مشكلةٍ في عمل أجهزة الدولة، فهم يتعاطون مع السوريين بمنطق اقتصاديٍّ بحت وليس سياسي، ولكن ذلك لا يعني عدم وجود أصواتٍ معارضة لهذه السياسة، فالمجتمع الأردني هو مجتمع (عشائر) تحكمه العادات والتقاليد العربية، من إغاثة الملهوف وإضافته وحمايته، وهي أمور لايسمح بتجاوزها بين أبناء العشيرة الأردنية بشكل عام، فالكثير من رجالات المجتمع يدعون أبناءهم إلى رفض هذه الممارسات، واحترام المستجير بهم، وحمايته، مما يجعل المعادلة متوازنةً نوعاً ما..

التنوع الديني والطائفي والقومي في مجتمع اللجوء السوري:

لم تقتصر حالة اللجوء السوري في الأردن على دين أو طائفة أو قوميّة أو طبقة معينة من المجتمع، فإذا قمنا بالقياس على المقياس الديني أو القومي، نجد أن اللجوء شمل كل أطياف المجتمع السوري المعروف باحتوائه لعددٍ كبير من المذاهب والطوائف الإسلامية والمسيحيّة وحتى اليهودية القليلة جداً، والقوميات الكردية والأرمنية والآشورية والسريانية وغيرها الكثير .. فعلى سبيل المثال (لا على سبيل التخصيص) وبحسب إحصائيّة قامت بها جمعية الكاريتاس المسيحيّة؛ فإن عدد المسيحيين السوريين اللاجئين بلغ حتى الآن (٧٠٠٠) لاجئٍ منتشرون مابين المخيمات والمناطق الأخرى، ويتلقون مساعدات من جمعيات خيرية ومؤسسات المجتمع المدني مثل (شبكة مسيحيو سوريا)، ولا يعاني هؤلاء من أية مضايقات تستحق الذكر، أو اضطهاد أو ظلم بسبب معتقداتهم واختلاف انتماءاتهم، ويُرجع أخصائيون ذلك إلى وجود الوعي والتعاطف مع السوريين من قبل المواطنين الأردنيّين.

مشاكل كثيرة –ليس أكبرها ما تم طرحه هنا– تواجه السوريين في مختلف بلدان اللجوء، مستقبلٌ مبهم، وماضٍ أليم، ورائحة الدماء في كل مكان، تجار حروب وأزمات يتاجرون حتى بجثامين الشهداء، وسوريا الجميلة ما زالت جميلة على الرغم من كل الجراح.

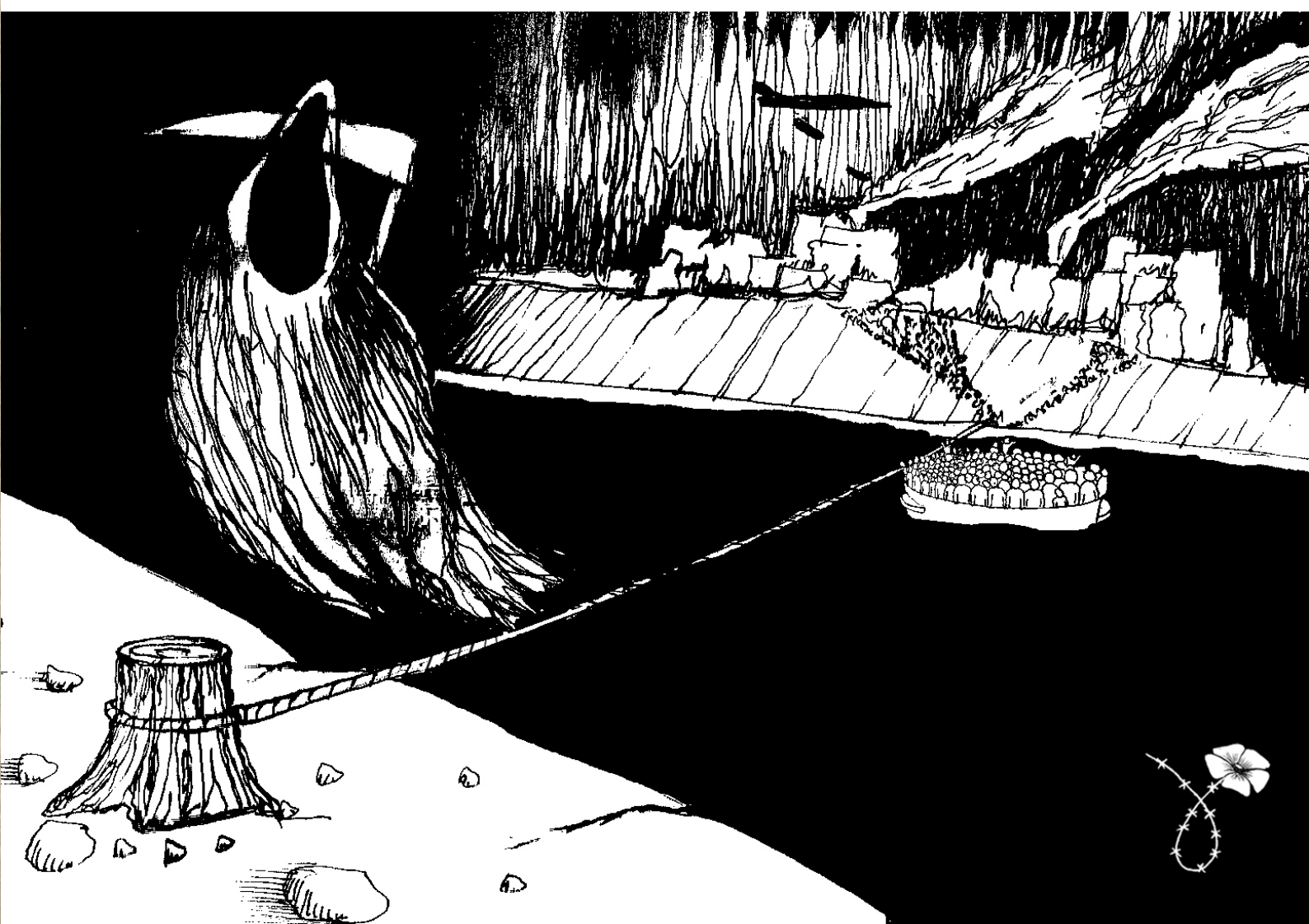

HAWA
SMART

إذاعة هوا سمارت
راديو الكل
العاصمة أون لاين
سوريالي

دمشق.حمص.حماه 103.2

حلب.ادلب.اللاذقية.دير الزور 99.6

من الساعة

6 الصبح - 12 مساءً

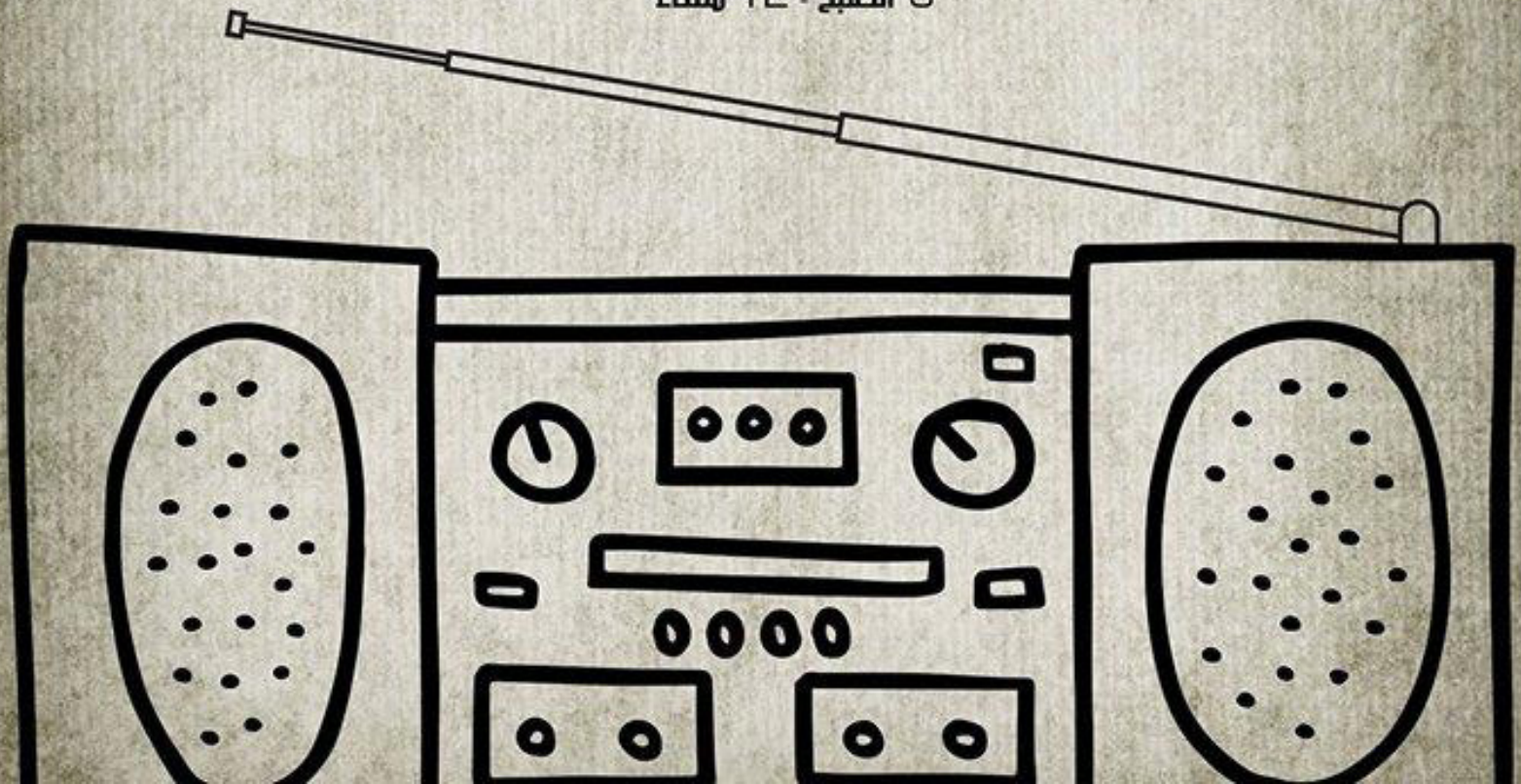

تحت رعاية الشبيحة في حلب – بيوت للدعارة والإتجار بالنساء

تحقيق: عثمان إدلبي – حلب

جعل بعض الشبيحة من مدينة حلب معقلاً لهم وميداناً لأفعالهم، التي لم تتفق يوماً مع عادات وتقاليد هذه المدينة المحافظة دينيّاً، فأصبحت أفعال الشبيحة شيئاً دخيلاً على المجتمع الحلبي، ومصدر إزعاجٍ يومي لأبنائه، حيث أنّ أغلب الشبيحة لا يقيمون وزناً لطبيعة هذه المدينة وحضارتها وتاريخها الديني، ويعتبر الكثير من أهالي حلب مظاهر الشرب والسكر التي يقوم بها شبيحة النظام في شوارع المدينة وارتيادهم لبيوت الدعارة وأماكن السهر الليلي داخل المدينة، هي انتهاكٌ لعادات وتقاليد أهالي حلب، واستفزازٌ متعمّدٌ لأبناء المدينة.

شبيحة حلب تفتح بيوتاً للدعارة في وسط عاصمة الثقافة الإسلامية:

في ظلّ تسيّبٍ أمني، وتسهيل وحماية من قبل عناصر الأمن والجيش لأيّ ظاهرة تخالف عادات وتقاليد أهالي حلب وتناقض الأحكام والأعراف الدينية لهذه المدينة، تنتشر وبكثافة بيوت للدعارة بدعمٍ وإدارة من بعض الشبيحة، كما أصبحت بعض الفنادق تعمل بالدعارة العلنيّة، ولم تعد هذه البيوت في أماكن مخفية، بل أصبحت منتشرة في عدة أحياء ومعروفة من قبل السكان، وأصبحت مرخّصة بشكلٍ شبه رسمي، حيث يقوم بحمايتها مَن يرتادها من الشبيحة، فكان الانتشار الأكبر لبيوت الدعارة في حي الخالدية البعيد نسبياً عن الكثافة السكانية، كون الحي منطقة تماس ويتقاسمه الحرّ والنظامي، كما يوجد بعض البيوت التي تتاجر بالنساء في أحياء وسط المدينة، كحي الموكامبو، والميرديان.

ويقول لنا «ماجد» وهو صاحب محل للمواد الغذائية في حي الموكامبو: «داهم عناصر الأمن أحد بيوت الحي الذي كان سكانه قد خرجوا منه قبل فترةٍ، فكسروا بابه ووضعوا عليه قفلاً جديداً، لتأتي بعد يومين امرأةٌ أربعينية ومعها ثلاث فتياتٍ لا يتجاوزن العشرين من العمر، ويسكن في البيت، ليتردد بعدها على هذا المنزل رجالٌ غرباء عن الحي، كان أغلبهم يرتدون زيّاً عسكرياً، يقضون ساعاتٍ في هذا المنزل ثم يذهبون».

تجمع لمؤيدي نظام الأسد أمام قلعة حلب

شبيحة حلب يأتون بفتيات الملاهي الليليّة إلى بيوت الدعارة في حلب:

بسبب حالة العوز المادي التي يعاني منها أغلب الناس الذين هُجِروا من بيوتهم، وأصبحوا بدون ملجأ ولا سكن ولم يعد لهم دخل مادي، وفي ظلّ غلاء العيش الفاحش والاستغلال الكبير من قبل بعض ضعفاء النفوس لحاجات الناس، وفي ظل عدم وجود أي شخص يمتلك سلطة عليهم ليراقبهم ويحاسبهم، ونتيجةً لقلة الوعي والنضج الفكري، لجأت بعض الفتيات اللواتي لم يبقَ لهن مُعيلٌ ولا سند إلّا تأمين عيشهن عن طريق التجارة بأنوثتهن.

أغلب النساء اللواتي يرافقن الشبيحة في سهراتهم الخاصة، واللاتي يعملن في البيوت التي يرتادها الشبيحة، هم نساء من خارج مدينة حلب البعض منهن ذوات لهجةٍ ساحلية، أتين مع شبيحة الساحل الذين فرزوا إلى حلب، كما يوجد بعض الفتيات اللواتي شُرِدن من مناطق أخرى، ولم يبقَ لهم أي معيلٍ، فاستغللن من قبل بعض الشبيحة الذين وفروا لهم المأوى والحماية، وأمّنوا لهم دخلاً مادياً مقابل إرضاء شهواتهم.

ويقول «سعد» وهو من أبناء حلب: «إنّ أغلب الفتيات اللواتي يرافقن الشبيحة، هم ذاتهم الفتيات اللواتي كان عناصر الأمن يخرجوهن في مسيرات التأييد والولاء ليرقصوا في الشوارع وساحات حلب بملابسهن المغرية، وقد أتوا بهن من المقاصف والملاهي الليليّة، التي أغلقت أغلبها حالياً، ليصبح عملهم الآن في بيوت الدعارة التي تنتشر داخل المدينة».

(ندوش والمدام غصون) أشهر تاجرات الدعارة في حلب:

مَن يقصد بيوت الدعارة هم أشخاص محدّدون، غالبيتهم من الشبيحة وعناصر الأمن، وأغلب هذه البيوت لا تفتح أبوابها لأي شخص، بل هي مخصّصة لأشخاصٍ معينين يتردّدون على هذا البيت بشكلٍ دائم، فكل مجموعة من الشبيحة لها أماكنها الخاصة التي تسهر بها، وفي كل بيتٍ يوجد امرأة كبيرة في السن تجاوز عمرها الخمسين، تعتبر هي المسؤولة عن الفتيات اللواتي يعملن عندها، ويوجد في حلب نساءٌ يُشغّلن بعض الفتيات خارج بيوتهن، حيث يقوم الزبون بالاتصال بالمرأة المسؤولة عن الفتيات، ويتفق معها على المقابل المادي، وقد جرت العادة بأن يقوم الزبون أولاً بإرسال جزءٍ من المبلغ على شكل رصيد إلى جوال المرأة لإثبات جديّته، ولتقوم بعدها المرأة بإرسال الفتاة إلى العنوان الذي أعطاها إياه الزبون.

وانتشر مؤخراً على جوالات عناصر الأمن والشبيحة عدة أرقام لنساء يتاجرن بالفتيات ويرسلهن إلى البيوت والقطع العسكرية، ومن أشهرهن (المدام غصون) والمرأة الخمسينية التي تدعى بـ (ندوش) صاحبة السيارة الفخمة، والتي

تسكن في حي الفرقان، ويعرفها بالشكل أغلب الشبيحة كون لديها علاقات كثيرة مع عناصر الأمن وبعض ضباط الجيش، ويقول «محمد»: «هناك الكثير من النساء في حلب اللواتي أصبح عملهن اليوم البحث عن الفتيات المحتاجات، لاستغلالهن وتشغيلهن لكسب المال، ومن بينهن (ندوش) التي كانت تسكن في حي صلاح الدين، وعُرف عنها قبل الثورة تعاملها مع عناصر الأمن، وعندما دخل الجيش الحرّ إلى الحي هربت وقام الحرّ بحرق منزلها، لتستقر بمناطق النظام، وقد قوّت علاقاتها مع عناصر الأمن والشبيحة، ليقوموا بدعمها وحمايتها، لتصبح من أخطر النساء في حلب، كونها تشغّل بعض الفتيات القاصرات وعدداً من النساء المتزوجات اللواتي رملن، حيث يعمل مع (ندوش) اليوم أكثر من ٤٥ فتاة أعمارهن بين خمس عشرة سنة وثلاثين سنة، حيث تقوم (ندوش) باستغلال هؤلاء الفتيات لتحصل على مبالغ مالية كبيرة من ورائهن، فتقوم (ندوش) بأخذ ما يقارب خمسة آلاف ليرة من كل زبون على كل سهرةٍ يقضيها مع إحدى فتياتها، وتعطي من المبلغ ألف ليرة فقط للفتاة، أما الباقي فتتقاسمه مع الشبيح».

سهرات الشبيحة الخاصة مصدر إزعاجٍ يومي لأهالي حلب:

يشتكي الكثير من أهالي حلب من تصرفات الشبيحة، والتي يصفها البعض بالأفعال غير الأخلاقية، والتي تخالف مبادئ وعادات أهالي حلب كالشرب، والسكر، واصطحاب النساء في الشوارع والسيارات، وإقامة الحفلات الليليّة، كما يقيم بعض الشبيحة سهراتهم الليلية الخاصة في بيوت استولوا عليها في أحياء وسط المدينة، حيث أصبحت هذه البيوت مصدر إزعاجٍ يومي لسكان هذه الأحياء، وباتت تأثّر على سمعتها.

كما يصطحب بعض الشبيحة في سياراتهم نساءً متبرجاتٍ غريبات عن المدينة، يختلفن في لباسهن وتصرفاتهن عن نساء حلب، ليذهبوا بعدها ويكملوا سهراتهم في تلك البيوت، التي أصبحتأشبه بالمقاصف والملاهي الليلة، حيث يسمع السكان القريبون من هذه البيوت الموسيقى المرتفعة المترافقة مع أصوات الضحك والصراخ، والتي تستمر حتى ساعات الصباح الأولى، ويعتبر هؤلاء السكان أنّ الليالي التي ينقطع فيها الشبيحة عن سهراتهم هي من الليالي الهادئة الهنية، حيث يعمّ الهدوء في الحي ويرتاح فيها أهله من الأصوات المزعجة التي تصدر من هذه البيوت، ويقول «أبو مصطفى» وهو من سكان حي الخالدية: «استولى بعض الشبيحة على بيتٍ في البناء الذي أسكن فيه، وأصبحوا يتردّدون عليه يومياً، فعند منتصف الليل من كل يوم يأتي مايقارب ست شبيحة يرتدون زيّاً عسكرياً، وبصحبتهم نفس العدد من النساء الغريبات عن الحي، وقد أصبح هؤلاء الشبيحة كابوساً يتعب كل ليلةٍ سكان الحي، الذين يخافون من أن يشتكوا على هؤلاء الشبيحة، أو حتى التكلم معهم».

انتهاكات الشبيحة تطال الأعراض:

يتعمّد بعض عناصر الجيش والشبيحة المنتشرين في مدينة حلب الإساءة لأبناء المدينة واستفزازهم، وخاصةً العناصر الذين ينتشرون على الحواجز، عن طريق التّلفظ بالكلام السيئ، والسباب، والكفر على مسامع المارة، ناهيك عن الكلمات النابية التي تخدش الحياء وتمس الأعراض التي يسمعها هؤلاء الشبيحة للفتيات اللواتي مررن على هذه الحواجز، كحواجز حي الجميلية والعزيزية، حيث يتفرّغ عناصر هذه الحواجز لرصد الفتيات وملاحقتهن بنظراتهم التي غالباً ما تكون مزعجةً للفتيات، وتزداد هذه المضايقات في ظلّ عدم وجود رادع ومحاسب لهؤلاء الشبيحة، لتصبح أموراً يتباهون ويتسلون بها، وتقول «لما» وهي من سكان حلب: «قام اثنان من الشبيحة الذين كانوا يركبون سيارة أمن فخمة باللحاق بي في أحد شوارع حي المحافظة، وكانوا ثملين من الشرب، وأسمعوني كلماتٍ نابية، ثم عرضوا عليّ أن أركب معهم بالسيارة، وأنا من شدة الخوف استنجدت بالرجال المارين في الشارع، ولكن لم يتجرأ أحدٌ على فعل شيء خوفاً منهم، كونهم شبيحة مسلّحين واستمروا بملاحقتي حتى وصلت إلى بيتي، فتوقفوا أمام البناء الذي أسكن فيه وبدؤوا بإطلاق الرصاص بالهواء بشكلٍ متقطّع لمدة ربع ساعة، وبعد هذه الحادثة أصبحت لا أطيق الخروج من المنزل تجنباً لإزعاج هؤلاء الشبيحة».

الصلاحيات غير المحدودة التي مُنحت لعناصر الأمن والشبيحة في حلب، ولّدت تصرفات عشوائية كثيرة، وجعلت البعض من الشبيحة يتعمّد استفزاز شبان المدينة، وخاصةً مَن كان منهم برفقة إحدى قريباته بغية تحديه أمام الفتاة التي معه، كون الشبيح يدرك أنّ هذا الشاب لن يستطيع الرد عليه، خوفاً من أن يقوم عناصر هذا الحاجز باعتقاله بعد أن يلفقوا له تهمةً ما، ويقول «محمد» وهو من أبناء مدينة حلب: «أوقفني أحد حواجز الأمن العسكري في حي حلب الجديدة وكنت برفقة زوجتي، وبدأ أحد العناصر الذي يتكلم اللهجة الساحلية الثقيلة بتوجيه التهم الملفّقة إلي، ويدّعي بأنّني إرهابي وسوف يقوم باعتقالي لكي يخيف زوجتي ويجعلها تترجاه ليعفو عني، فبدأت زوجتي تبكي أمام عناصر الحاجز الذين يقومون بإذلالي أمامها، لتنتهي هذه التمثيلية بأن يعفو عني العنصر كرامةً لزوجتي، مفبركاً هذه القصة ليتسلى مع بقية العناصر».

تفتيش النساء على حواجز الأمن بذريعة الإجراءات الأمنية:

ومن ضمن الممارسات التي يقوم بها عناصر الأمن والشبيحة في حلب، والتي تضايق أبناء المدينة؛ هي عمليات التفتيش و(التفييش) التي يتعرض لها نساء حلب على بعض الحواجز، حيث يعتبر بعض نساء حلب عمليات التفتيش هذه أعمالاً استفزازية وانتهاكاً لخصوصية المرأة ولا علاقة لها بالإجراءات الأمنية، فالحواجز المتواجدة على مداخل ساحة سعد الله الجابري وبعض حواجز السليمانية والميدان تقوم بتفتيش الحقائب الشخصية للنساء وما يحملونه من أغراض، كما يقوم العناصر المتواجدين على أبواب الجامعة بتفتيش حقائب الطالبات اللواتي تردن دخول الجامعة، كما يتعرض النساء للتفتيش الشخصي الدقيق من قبل إحدى المتطوعات في الجيش عندما تردن الدخول إلى بعض الدوائر الحكومية كالقصر العدلي، والبريد، ومديرية الصحة،وفرع وزارة الخارجية في حلب، والمحكمة العسكرية.

وتقول «أم رامي» وهي من سكان حلب: «مررت في أحدى المرات من خلال أحد حواجز ساحة سعد الله، ولم أكن أعلم بأنّ هذا الحاجز يقوم بتفتيش النساء، فبعد أن قطعت الحاجز بحوالي عشرين متراً تفاجأت بأن أحد العناصر كان يلحق بي، وعند وصوله إلي سحب حقيبتي بشكلٍ همجي وأمرني بأن أعود للحاجز، وهو يصرخ ويقول: (رايحة تفجري حالك ليش ما وقفتي ع التفتيش؟!) وأخذ هويتي وفيّش لي،

وجعلني أنتظر نصف ساعة بقرب الحاجز، لكي تصله نتيجة التفييش، وعندما وصلت وتأكّد العنصر أنّني بريئة، قال لي بأنّه إجراء طبيعي منهم لأنّ لديهم الآلاف من أسماء النساء المطلوبات».

تغيّرٌ كبيرٌ حلّ ببيئة، وعادات، وطبيعة حلب، وهي المدينة ذات البيئة المحافظة وصاحبة التاريخ العريق، وهي عاصمة الثقافة الإسلامية، إلاّأنّ مَن يحتلها اليوم يتعمّد تشويه تاريخها بأفعالٍ منافية للأخلاق والأصول والمبادئ الدينية، كفتح بيوتٍ للدعارة، وإقامة سهرات الشرب والنساء في بيوت داخل المدينة، متحدين بذلك أبناء هذه المدينة الذين يرون بأم أعينهم الانتهاك المستمر لتاريخ هذه المدينة، ولا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً مع هؤلاء الشبيحة المسلّحين، في وقتٍ باتت فيه الغلبة لحامل السلاح، أما الأعزل فلا حول له أو قوة.

غياب تمثيل المرأة في المجالس المحليّة في سوريا

مصطفى عبدي

لعبت النساء في سورية دوراً مهماً في الحراك الثوري السلمي على الأرض، تمثّل ذلك في مواقع التواصل الاجتماعي، ومساندة المقاتلين، وتهريب السلع، وإدارة شبكاتٍ سريّة لتوصيل المواد الإغاثية إلى المناطق المحاصرة، وفي المشافي الميدانية، ولكن يبدو أنّ مختلف أطياف المعارضة لم تعر لهن الاهتمام الكافي في مشاريعهن للفترة الانتقالية.

وتقول جماعاتٌ حقوقية بأنّ قوات الأمن السورية استهدفت النساء خلال الثورة والحرب الأهلية، وتعرّضت آلافٌ منهن للتعذيب والاغتصاب، كما تمتلئ السجون السورية بالسيدات والفتيات، لكن القوات الموالية للرئيس بشار الأسد ليست عدو المرأة الوحيد في سورية، فالمتشددون أيضاً يحرمونها من حقوقها، ويقول لاجئون خارج سورية: «إنّ اليأس يدفع البعض إلى تزويج بناتهم القاصرات».

وقد وضع الخبراء سورية في ترتيبٍ متدنٍ في معظم النقاط التي كانت محوراً للاستطلاع، ومن بينها العنف ضد المرأة، والحقوق الإنجابية، والاشتراك في المجال الاقتصادي، ومعاملة المرأة داخل الأسرة، والمواقف تجاهها في شؤون السياسة وفي المجتمع.

وأضافوا أنّ الحرب كان لها تأثيرٌ مدمّر على حقوق السوريات، حيث عرضت الملايين منهن لخطر الإتجار بهن، أو الزواج القسري، أو تزويج القاصرات، أو العنف الجنسي.

وبحسب «المرصد السوري لحقوق الإنسان» فإنّ عدد القتلى الذين قضوا منذ بداية الأحداث في سورية وصل إلى ١٣٦٢٢٧ شخصاً من مدنيين وعسكريين، وأنّ «عدد القتلى المدنيين بلغ ٦٩٢١٦ شخصاً، من ضمنهم ٧٣٧٢ طفلاً و٤٩٢٠ امرأةً، أما القتلى مجهولي الهوية فبلغ عددهم ٢٨٢٤، وعدد قتلى المنشقين عن القوات النظامية بلغ ٢٢٤٧»، وقد قدّر عدد السجينات اللاتي مازلن على قيد الحياة في مراكز الاحتجاز في سورية ما بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ سجينةً.

اعتصام للمطالبة بحقوق المرأة كوباني ٢٠-٠٢-٢٠١٤

والمرأة السورية لا تزال تساهم على الأرض في الحراك الثوري ضد نظام الأسد، حيث ظهرت شخصيات نسائية بمثابة «قائدات رأي» في المجتمع السوري على غرار الفنانة «مي سكاف»، والكاتبة «ريما فليحان»، بالإضافة إلى الناشطة الحقوقية «سهير أتاسي»، والمحامية «رزان زيتونة»، والمدوّنة «رزان غزاوي».

ومن الكرد ظهرت قيادات سياسية ومدنية وعسكرية، نذكر منهن: إلهام أحمد، وآسيا عبد الله، وهيفي ابراهيم، ومن كوباني عائشة أفندي، والمدوّنة الحمصية وئام بدرخان، ولكن مع تصعيد العمليات العسكرية من قبل نظام الأسد تراجع دور المرأة على الأرض، في وقتٍ شهدت فيه المناطق الكردية ظهور قوات عسكرية وأمنية من النساء الكرديات تشارك في جبهات القتال والحواجز، ولها دورٌ في حفظ الأمن سواء أكان في المناطق الكردية، أم كان في حلب وخطوط المواجهة مع قوات النظام.

غياب التمثيل الحقيقي:

نسبة تمثيل النساء في الائتلاف السوري لقوى الثورة والمعارضة لم تصل إلى ٢٠٪ فيما كانت تبلغ في المجلس الوطني السوري أقل من ٧٪، وهيئة التنسيق الوطنية حالها كحال باقي التكتلات السياسية المعارضة، إذ لا يوجد فيها إحصاء حقيقي لتمثيل المرأة ضمن صفوفها.

وتقول العضوة السابقة في الهيئة في مكتب المهجر هدى الزين: «في الحقيقة ورود جملة أو جملتين عن حقوق المرأة في أدبيات وبيانات التكتلات السياسية المعارضة ليس أكثر من كونها ورقة جذب، وذكرها يضفي صورةً حضاريةً أكثر للجهة التي تبرزها».

وعند متابعة المجالس المحلية على مستوى سوريا

فإنّنا لن نجد امرأةً واحدةً ممثلةً في «مجلس محافظة حلب، أو الرقة» ولن نجد أي تمثيلٍ في باقي مجالس المدن السورية، ومجالس النواحي أو القرى، ويقول عبد الرحمن ددم/ رئيس مجلس محافظة حلب الحرة: «إنّ غياب تمثيل المرأة جاء لاعتمادهم مبدأ الكتل الانتخابية، وكان من المفترض أن تقوم كل كتلة بترشيح عددٍ من النساء، وقد كانت هنالك ثلاثة مرشحات فقط بفئة «مستقل» لم تنجح منهن أي واحدة في الانتخابات، وذات الأمر ينطبق على مجالس المدن، والتي من المفروض أن تعمل على إشراك النساء في المجلس أو مكاتبهم».

المرأة الكردية «كسرت الجليد»:

واقع المناطق الكردية مختلف، فالمرأة لها تمثيل يصل إلى ٤٠٪ سواء أكان في الإدارة الذاتية، أو المجلس التشريعي، أو في عضوية مجلس الشعب في غربي كردستان، وهي تشارك في إدارة مختلف المؤسسات، إضافةً إلى أنّها تدير مركزاً للأمن وتشارك بفعاليةٍ في الحرب من خلال القوات العسكرية. أما عن تمثيل المرأة في المجلس الوطني الكردي، فلم يصل إلى ١٠٪ دون أي فاعلية أو سلطات كما في غربي كردستان.

العقلية الذكورية عائق أمام دور فعّال للمرأة:

الباحثة الاجتماعية والأستاذة في جامعة ماربورغ الألمانية «هدى الزين» تؤكّد أنّ الوعي الجديد الذي اكتسبته المرأة خلال الأزمة السورية سيساعدها على فرض نفسها على الساحة في فترة ما بعد الأسد.

وتعرب الزين عن عدم تفاؤلها في المرحلة القادمة، بحيث تقول: «صوت السلاح أصبح الأعلى والوحيد في سورية، بالإضافة إلى تشرذم المعارضة السورية وضعف كل واحدة منها على حدا، وهذا يعني أنّه حين تبدأ المرحلة الانتقالية سيحكم البلد مَن يحقق النصر، ويبدو أنّ الجناح المسلّح من المعارضة هو مَن سيحققه»، وتشدد بالقول: «هنا ستخسر المرأة، لأنّ المعارضة السياسية ستكون غير قادرة على فرض وجودها، باعتبارها لم تحقق ذلك النصر، وبالتالي فإنّ المرأة ستأتي بالدرجة الثانية، ولكنّي في الوقت نفسه أعلّق آمالاً كبيرةً على وعي المرأة الجديد، الذي تشكّل خلال الحراك الثوري، واكتشافها لقدراتها، وستستفيد المرأة من هذا الوعي لاحقا من خلال العمل المنظم».

قواعد المقاتلين المتشددين:

تقول سوريات إنّ ما تواجهه المرأة الآن من كراهية وقمع على أيدي المتشددين بمثابة انتكاسة، وذكرت امرأةٌ سورية من شرق البلاد أنّها تساند حركة معارضة سلمية علمانية، وأنها تفضل البقاء في المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة، لأنّها رغم المخاطر التي تواجهها لا تتعرض لمضايقات لمجرد أنّها امرأة، وقالت: «**لا أثق بالمعارضة في سورية، ولا أعتقد أنّ حياتنا ستكون أفضل، خاصةً النساء**» مشيرةً إلى ما يتحدث عنه بعض المقاتلين من أنّه يجب أن يقتصر دور المرأة على المهام المنزلية.

حلب.. نازحو الداخل.. الهروب نحو الحياة.

عماد نجم حسو

الحرب والموت والدمار والتهجير هو كل ما يعيشه السوريين عامةً وأهالي محافظة حلب خاصة، لم يعد هناك أية بقعةٍ آمنة. الكثيرون من سكان المناطق المحررة تعرضوا للنزوح القسري بعد تحرير الجيش الحر لأحيائهم من أيدي قوات الأسد، فكانت تغريبتهم الأولى. عاد الكثيرون ممن لم تتعرض منازلهم للدمار، أو من لم يكن حييه على خط النار، وذالك بعد انخفاض حدة الصراع بين عناصر الجيش الحر وقوات النظام السوري الفاسد، ولكن الآن وبعد مضي سنة على التغريبة الأولى، هاهو النظام الأسدي يعاود عدوانه الحربي على مناطق المدنيين، فأكثر من ١٥٠٠ برميل متفجر خلال الشهر الأول من السنة الحالية، كانت كفيلةً بتحويل أحياء حلب المحررة إلى أرضٍ للموت ولا شيء غير الموت، (الميسر، المرجة، الجزماتي، طريق الباب، مساكن هنانو، الأرض الحمرة، كرم الطراب، الصاخور، الحيدرية) هي أحياءٌ خلت من ساكنيها فكان النزوح.

١،٧ مليون هو عدد النازحين داخل مدينة حلب، وذالك بحسب آخر احصائيات الشبكة السورية لحقوق الإنسان، مشهدٌ يغيب عن اهتمام الإعلام، ويخرج عن دائرة رعاية المنظمات الإنسانية الدولية حيث يعاني أفرادها من صعوبةٍ في الدخول والخروج والتنقل ضمن الأراضي السورية، وبذالك فقد حرم النازحون من التمتع بالحقوق المنصوص عليها في القانون الدولي الإنساني، وفي المبادئ التوجيهية للنازحين داخلياً، يعيش النازحون في الداخل أوضاعاً معيشية سئية وظروفاً حياتيةً بالغة الصعوبة.

أكثر من ستة مخيماتٍ في الريف الشمالي لمدينة حلب، تتوزع بين أطراف بلدة اعزاز وبعض القرى الأخرى، لم يكن مخيم السلامة الحدودي قادراً على استيعاب الأعداد الكبيرة من المشردين، والذين وجدوا في العراء ملجأً أقل خطورةً من البقاء في مساكنهم معرضين لذلك الكم الهائل من البراميل التي أمطر بها النظام الأحياء المدنية في حلب، فاستُحدثت تلك المخيمات التي تفتقر سلفاً للأمان والحماية ونقصٍ في قدرة المنظمات الإنسانية والجمعيات الإغاثية على سد احتياجات الأعداد الكبيرة للنازحين.

يحدثنا أبو حسن (٤٥ سنة) الذي وجد في مخيم باب السلامة الثاني ملجأً له بعد أيامٍ من التشرد والضياع. يقول أبو حسن: «خرجت أنا وزوجتي وأولادي الأربعة مع ابنتي الأرملة وابنها، والتي فقدت زوجها في أحد البراميل التي سقطت على حي الميسر، نبحث عن الخلاص من كابوس براميل الموت، وبعد أن أصبح حي الميسر هدفاً

لدبابات النظام ورشاشات ال ٢٣ والتي حاول النظام من خلالها الدخول إلى الحي من الطرف الجنوبي، لم يكن في جيبي سوى ٢٠٠٠ ليرة سورية، كانت كفيلةً بنقلي من مدينة حلب إلى الريف الشمالي، بقينا أكثر من أربعة أيامٍ في العراء بالقرب من مدينة اعزاز، حيث قام أهل الخير بأخذنا إلى مخيم باب السلامة الثاني، هنا بدأت حياةٌ جديدة ومعاناةٌ أخرى، نقص المواد الأساسية كالطعام والماء، وتحولِ المخيم إلى بركةٍ من الطين في الأيام الماطرة هي أكثر الصعوبات التي نعاني منها هنا. يوجد بعض العناية الصحية، حيث تعمل الجمعيات الطبية على تأمين العناية الطبية وتقديم الدواء لساكني المخيم، نحاول التأقلم مع الحياة الجديدة ومع الصعوبات التي نواجهها بغية حياةٍ أفضل.»

إن رحى الحرب الدائرة ووحشية قوات النظام أفقدت الكثير من المدنيين منازلهم، فهذا من دُمر منزله نتيجة سقوط قذيفةٍ أو برميل، وذاك من أصبح منزله في الخطوط الأمامية لجبهات القتال بين طرفي النزاع كما، فقد الكثيرون وظائفهم وأعمالهم وأصبحوا عالة على غيرهم، بالإضافة إلى فقد بعض الأسر لمعيلها، إما نتيجة موته أو نتيجة اعتقاله من قبل قوات النظام الأسدي.

أم أحمد امرأة في العقد الرابع من عمرها، وهي من أهالي حي الحيدرية، اعتقل ابنها ذو الثمانية عشر عاماً منذ أكثر من سنة من قبل قوات الأسد، وتوفي زوجها نتيجةً لإحدى القذائف التي سقطت على دوار الحيدرية منذ خمسة أشهر، تحدثنا أم أحمد حيث تقول إن الهجمة الشرسة التي قام بها النظام على حي(الحيدرية) من خلال البراميل المتفجرة جعلتها تغادر المنزل الذي لا تملك سواه لإنقاذ نفسها وأولادها الثلاثة، عدم وجود من يعيلها وقيام أحد الاقارب الذين منحوها منزلاً لتسكن فيها هي وأولادها وذلك في حي (الهلك) جعلها تمتنع عن الذهاب خارج حلب، حيث لم يكن على قائمة الأحياء التي تعرضت لبراميل الموت في الإعتداء الأخير لقوات الأسد على أحياء حلب المحررة.

يحدثنا علي أبو جعفر أحد ناشطي حي الهلك عن الأعداد الكبيرة التي وجدت في هذا الحي ملجأً لها من نيران قوات الأسد حيث يقول أن أكثر من ١٠٠٠عائلةٍ قد وجدت في الحي ملاذاً لها، حيث خفت وتيرة الصراع على جبهة حي (الهلك)، الذي يقع بالقرب من حي الميدان حيث تتمركز قوات الأسد، وبالتالي فإن أعداداً كبيرةً من النازحين هم في حاجةٍ إلى المساعدات الغذائية والصحية، والتي تبدو ضئيلةً بالمقارنة مع أعدادهم في الحي، بالإضافة لضعف عمل الجمعيات الإغاثية والمنظمات الانسانية، إذ تعاني جميعها من مشاكل وصعوبات في نقل المواد والوصول لمدينة حلب، وبالتالي يتعرض النازحون للجوع والبرد والمرض على أقل تقدير.

الضغط النفسي والخوف الدائم من الاعتقال والتمييز المناطقي، بالإضافة إلى سوء الظروف الحياتية وارتفاع الأسعار هي ما يعانيه كل من اختار النزوح بإتجاه المناطق التي تسيطر عليها قوات الأسد، في الجانب الآخر من محافظة حلب، وهنا تقوم حواجز الأمن والشبيحة بالاعتداء على المدنيين، فأفعال هؤلاء مرتبطة بمزاجهم وبشهواتهم الدنيئة، فيكفي أن تكون من أحد المناطق المحررة من قبل الثوار لتصبح مطلوباً لدى النظام الأسدي، ومعرضاً لكل أساليب الاعتداء والتعذيب.

أبو صالح وعائلته، إحدى العائلات التي سلكت طريقاً للنزوح إلى مناطق سيطرة النظام ظناً منها بأنها ستكون في مأمنٍ من براميله، ١٤ ساعة هي الفترة التي قضاها أبو صالح على معبر بستان القصر للدخول إلى مناطق النظام، يخبرنا أبو صالح عن سوء المعاملة والألفاظ البذيئة التي أطلقها الشبيحة ورجال الأمن عليهم عند المعبر (طول عمركن رح تضلو غنم يا كلاب، يلا يا حيوانات..الخ) كما يسرد لنا رحلة البحث عن منزلٍ يؤيه وعائلته، هو متهمٌ لمجرد أنه من حي مساكن هنانو، فلا منزل ولا مأوى إلا بعد إجراءاتٍ أمنيةٍ مشددة، يتم من خلالها الكشف عن وضع العائلة وحتى عن وضع أقاربها الأمني، أبوصالح كان قد جعل من أثاث منزله وكل مقتنياته سلعاً على أرصفة الشوارع لسد ما يحتاجه من مواد أساسية بالإضافة إلى دعم الجمعيات الإغاثية.

«أهل الخير» «والإحسان» و«التآلف» هي جمعياتٌ أهليةٌ إغاثية في المجالين الغذائي والطبي، نشأت مع بدء الصراع بين الطرفين في المناطق التي يسيطر عليها النظام، فكان لها الدور الكبير في التخفيف من معاناة النازحيين، يحدثنا سامر الحلبي أحد الناشطين الإغاثيين قائلاً: «لقد بلغ عدد العائلات النازحة إلى مناطق النظام خلال العدوان الأسدي في الأشهر السابقة إلى (١٥٠٠) عائلةٍ تقريباً، افترش الكثير منهم الأرض والتحف السماء في الحدائق والأماكن العامة، عملنا على إيوائهم في المساجد وفي بعض الوحدات السكنية الفارغة، والتي تعتبر قيد الإنشاء، نحاول أن نخفف من آلامهم ومعاناتهم، من خلال العمل على تأمين سللٍ غذائية، وتقديم العناية الصحية، فهناك الكثير من عمليات الإستغلال التي يتعرضون لها من قبل الشبيحة الموجودين في كل مكان، لقد رأينا صوراً مختلفةً من أشكال النزوح الداخلي، كما تعددت الصعوبات والمعوقات والمخاطر التي يتعرض لها هؤلاء، ولكن يبقى المسبب الذي دفع هؤلاء للنزوح واحد، لذا وجب التدخل الفعال لمعالجة أوضاع النازحين وتوفير سبل المعيشة لهم، عبرتسهيل دخول المنظمات الدولية، كاللجنة الدولية للصليب الأحمر، ومفوضية اللاجئين، بالإضافة لمنظمات حقوق الإنسان والمنظمات الإغاثية والإنسانية.

أبو حسن، أم أحمد، أبوصالح، هم مدنيون لم يكن لهم أي يدٍ في الصراع الدائر في البلاد، إلا أن وحشية النظام وهمجيته لم تفرّق بين مدنيٍّ وعسكري، أُجبر هؤلاء على الخروج من منازلهم هرباً من الموت، يبدو أن حلماً بدأ يتشكل في مخيلة هؤلاء، ألا وهو حلم العودة.

(بالأخضر).. على بيدر حنطة

لقاء مع راشد الطبشي مسؤول الإعلام والعلاقات العامة في برنامج (بالأخضر)

حاوره: ناجي الجرف

مشروع (إن غرين)، من أين جاءت الفكرة، وكيف بدأت اللحظات الأولى لهذا المشروع؟

صاحب الفكرة كان الصديق «أنور بنود» رحمه الله، وبقي قيّماً على المشروع حتى وفاته بحادث سيارة قرب كلّس أثناء عودته من سراقب.

تتمحور فكرة المشروع حول إعادة بناء المؤسسات المدنية، واليوم نلمس للأسف ظاهرةً يمكن وصفها بغير الصحية، ومعظمنا كسوريين نتشاركها، أن العسكر، سواء كانوا من الجيش الحر أو غيره، عندما بدؤوا يحررون المناطق، أصبحوا هم من يسيّر أمور المواطنين، الإغاثة والتموين والخبز والقضاء والشرطة. نحن نحيي جهودهم، لكن عملهم هو القتال على الجبهة وليس إدارة شؤون المدنيين.

فكرتنا كانت أن نشرع في بناء المؤسسات المدنية التي ستستعيد شؤون الإدارة المحلية بحيث تحكم الناس نفسها بنفسها ووفقا لمصالحها، لذلك أسميناه برنامج (بالأخضر). برنامج لأنه يبدأ الآن ويطمح لتحقيق خطةٍ مستقبليةٍ متكاملة في حال استمر، وهو سيستمر إن شاء الله، بجهد كل الأيدي التي تشارك فيه، وينتهي بمرحلة إعادة الإعمار بعد سقوط النظام.

هل نفهم من مشروع (بالأخضر) أنه يطمح لتحقيق منع استنزاف طاقات المعارضة المسلحة والجيش الحر في إدارة العمل المدني الذي ليس من اختصاصهم، وإعادة تشكيل المنظمات المدنية لتمسك من جديد بزمام الأمور في المجتمعات المحلية؟ ماذا ينبغي أن نفهم بالضبط من الغاية وراء البرنامج، وما قدرته على التأثير على مستوى المجتمعات المحلية؟

كما ذكرت لك، إذا نجح المشروع سيتفرغ المقاتلون للعمل القتالي. نحن حالياً، في أية منطقةٍ ندخلها، يُنسق البرنامج فوراً مع الكتائب العاملة فيها، لتكون مسؤولةً عن حماية القوافل والمشاريع التي سوف تُنفذ في المستقبل.

أما عن آلية العمل، فقد قمنا بدراساتٍ استنتجنا بها أن أكثر المناطق استقراراً حالياً هي ريف إدلب، بسبب خروج دولة العراق والشام منها وتحرير أغلبها من النظام سابقاً، باستثناء إدلب المدينة.

والناس هناك في حاجة، بسبب القصف والدمار الذي لحق بالقرى والمدن والبلدات، إلى الكثير. دخلنا إلى ريف إدلب بدايةً، وبالذات سراقب وكفرنبل. أردنا أن ندخل إلى بنش والدانا، ولكن للأسف لم يكن هناك من مجالس محلية. حالياً، وهذه واحدة من الأشياء الإيجابية لـ(بالأخضر)، أنه تشكّل فعلا مجلس محلي منتقى بالتعاون مع أعيان بنش المدينة والعائلات الموجودة هناك، ومن أجل أن يكونوا شركاء معنا في مشروعنا.

هذا أساسيٌّ فيما نسعى إليه اليوم. فمما يعزز المسلك المدني في المجتمع أن تجري انتخابات حرة وديمقراطية على كل المستويات، أو حتى عن طريق التعيين التوافقي بين أهل المدينة، كي يقوم المجلس بأخذ دوره في تسيير أمور الناس. يواجهنا أحيانا إشكالٌ بسيط، أن الناس كثيراً ما تظننا مشروعاً إغاثيا، سلل غذائية وحرامات وما شابه. نحن عملنا في الإغاثة لأنها الحاجة الأولى لأي مواطن في تلك المناطق.

مثلا سبعون بالمائة من أهالي سراقب كانوا في حاجةٍ ماسة للمواد التموينية والطبية الأساسية التي تدخل في نطاق الإغاثة. سياسة الإغاثة الأساسية هي تأمين الغذاء والمواد الطبية والملابس الشتوية، وهذه الأساسيات التي لا يمكنك التوجه للأهالي قبل تأمينها، لتكون المرحلة التالية أكثر سهولةً، فحينها تستطيع أن تناقش معهم كيفية إعادة الحياة إلى المدينة أو البلدة أو التجمع، وتنظيم أمورها، وهنا تتبدى فكرة المشروع الحقيقية، وهي أننا نريد مثلاً متابعة مدينة سراقب، وهنا نقول بأن المجلس المحلي في المدينة كان قد قدم لنا مجموعة دراسات حول ما يلزم لتأهيل هذه المدينة وكوادرها لإعادة إعمارها حين تبدأ مرحلة الإعمار، من الضروري أن تكون هناك بنية خدمية ومادية وفكرية مناسبة لاستقبال التغيرات الإيجابية التي ستطرأ. حقيقةً نحتاج إلى تجهيز البنية الفكرية لدى الناس بحيث يستطيعون ممارسة وفهم العمل الجماعي والتعاون وقبول مساعدة الآخرين، دون أن تُنسب إليهم الاتهامات المجانية، وفهم فكرة أن ما يمكن أن

تقدمه الدول من مساعدات هي ليست منةً أو خدماتٍ سيدفعون أثمانها من موقفهم أو ..، بل هي واجبٌ إنساني ترعاه دولٌ وتقوم عليه منظماتٌ إنسانية وهيئات غير حكومية في بعض الأحيان، حتى الآن حصلنا على جميع الدراسات اللازمة للمشاريع الضرورية في مدينة سراقب مثلا؛ (تصليح الفرن وإعادة ترميم المدارس والمرافق العامة، شبكات الماء والكهرباء والطرقات)، ويبدو أننا حصلنا على الموافقة للبدء باستصلاح وترميم شبكات الماء والكهرباء، وهذا بحد ذاته إنجاز، وهذه إحدى أهم أهداف البرنامج ورسائله. رسالة أخرى يهتم البرنامج بإيصالها وهي أننا نحن أفراد الشعب السوري قادرون على العمل والإنتاج، ونمتلك الرغبة والقدرة على الإنجاز. رسالةٌ أخرى تقول بأنك اليوم قد تحصل على سلة غذائية، ولكن في الشهر القادم سيكون عليك أن تعمل على إعادة بناء بلدتك بدل انتظار المساعدات، يمكنك أن تقوم بإصلاح المدرسة الفلانية مقابل مرتب شهري يحفظ كرامتك، هذه المرتبات يجب أن تساهم في إعادة تحريك عجلة الإنتاج المعطلة تماماً اليوم، وليكن البناء والترميم بأيدٍ سورية يمكنها أن تثمّن غالياً ما أنجزته لها وللجيل القادم.

هناك من يقول: (لنفترض أنكم أعدتم بناء المدرسة، وعاودت طائرات الميغ إلى قصفها، مالفائدة من ذلك؟!)، ونحن في هذا البرنامج نجيبه بأننا طالما نمتلك الإرادة والرغبة فإننا سنعيد بناءها مراتٍ ومرات، فآخر ما يجب علينا فعله هو الجلوس بانتظار المساعدات والسلل الغذائية دون القيام بأيّ فعلٍ يقوّم الحياة.

غالباً ما تواجه هذه المشاريع أزمة الثقة لدى المواطن السوري، خاصةً في ظل هذه الفوضى، اليوم، هل يمكنك القول بأن مشروع (بالأخضر) هو أحد المشاريع التي يمكن لها أن تعيد الثقة بين أفراد المجتمع المحلي، بين المجلس المحلي والأهالي، المجتمع المحلي والمعارضة المسلحة؟ بين الداخل والخارج على اعتباره تحول إلى كتلةٍ ضخمة لا يمكن تجاهلها أو تهميشها؟ أين تكمن أهمية (بالأخضر) في هذه النقطة تحديداً؟

إعادة الثقة بين هذه الأطراف، لكن بشكلٍ فعال يبدي نتائجه على أرض الواقع هو من أهم الأهداف التي نرجو الوصول إليها، هناك فجوةٌ عميقة بين هذه الأطراف، إضافةً إلى فقدان الثقة بالأجسام السياسية في الخارج ومدى فعاليتها، والتي يُفترض أن تمثل الشعب السوري وترعاه، برنامجٌ كهذا حين يصبح في مجال التنفيذ العملي يمكن أن يمثّل طاولةً تجتمع عليها كافة الأطراف التي تريد المشاركة في عملية الإنقاذ، خاصةً عندما يرى المواطن أنه ليس مضطراً لأن يطرق أبواب تلك المجموعات، بل هي من تتقدم باتجاهه وفي يدها الحلول لأزمات حياته، فهو المعني وهو المستهدف وهو صاحب المشروع، وما يمكن أن تقدمه تلك الكتل هو واجبٌ استحدثت لأجله، وليس منةً أو مجرد مساعدة، عندها ستساهم هذه المنجزات في إعادة الثقة المفقودة، وجلب الكثير من التسهيلات لأبناء المنطقة. للأسف هناك من يصدّر تلك الرسالة القائلة «نحن في المناطق التي يسيطر عليها النظام لازلنا نحيا بأمان ونستطيع مزاولة حياتنا الطبيعية، في حين أنكم وقد حولتم مناطقكم إلى مناطق محررة عجزتم عن إنقاذها من كافة أشكال الفقر والموت وانعدام الخدمات. في حين أن المناطق المحررة، وإن غرقت الآن في الفوضى ونقص الخدمات، غير أنها ومع بعض التنسيق مع الكتائب ورفع قيمة العمل المدني يمكن أن تقدم أنموذجاً حقيقياً من نماذج الإدارة المحلية التي تراعي مصالح أبناء المنطقة حسب ما يرتؤون، وليس حسب أهواء أفرادٍ بحد ذاتهم. يستطيعون بهذه الطريقة وبتحقيق الاكتفاء أن يديروا شؤون مناطقهم بطريقةٍ ذاتية وبروحٍ مدنية تحقق ما يطمح إليه المواطن. مشاريع كهذه يمكن أن ترسل للرأي العام العالمي بأننا شعبٌ يحب الحياة ويستطيع إنقاذها، مقابل الرسائل التي تصله والقائلة بتحول سوريا إلى حاضنةٍ كبيرةٍ للإرهاب والتخلف، ٧٠٠٠سنة مرت على هذه المنطقة، لن يكون من السهولة بمكان أن تتحول ويتحول أبناؤها بهذه السرعة إلى مجرد حواضن للإرهاب، نمتلك القدرة على إحياء الظواهر المدنية، المراكز الثقافية وإحياؤها هو أحد مشاريعنا في الفترة المقبلة.

بالتأكيد هناك تحديات يتعرض لها مشروع (بالأخضر)، هناك معوقات أمنية تتعلق بالدمار والقصف والفوضى التي خلفها النظام في المناطق التي تم تحريرها، بالإضافة إلى المعوقات التنفيذية التي تتعلق بالعمل من خارج الحدود، وصعوبة العودة إلى الحياة الإدارية والمؤسساتية، ماذا قدم البرنامج لكسر تلك التحديات، لإدارة هذه الفوضى، للتخلص منها؟

في الحقيقة لم نبدأ بلمس تلك المعوقات بعد، فالمشروع ما زال في بداياته لكننا نتوقع الكثير من هذه الصعوبات، المشكلة الأولى التي واجهتنا لم تكون من الداخل كما هو متوقع، إذ كان يفترض أن ينطلق المشروع منذ أكثر من شهر، لكننا تأخرنا شهراً كاملاً بسبب أن قوافل المساعدات والمعدات بقيت عالقةً على الحدود

السورية التركية التي كانت مغلقة في أكثر من نقطة، بعض المشاكل الإدارية في الطرف السوري أو التركي، الحرب ضد «داعش» وغيرها من الإشكالات، أضف إلى ذلك البطء في إدخال تلك المساعدات.

هل يتضمن البرنامج آليةً للرقابة على تنفيذ الخطوات، أم أن الموضوع قد تُرك لعفوية الإجراءات والظروف؟

نسعى بدايةً لتوظيف مجموعة من المراقبين على أداء البرنامج في أغلب المناطق، ليس لضعفٍ لدينا في الثقة بالمجلس المحلي الفلاني أو بالمجموعة الفلانية، بل لتثبيت ما تمّ إنجازه والتحقق من نوعية ودقة الإنجاز، وهذه الإجراءات ضرورية جداً خاصةً في غياب المساءلات القانونية والقضاء، كما تساعد هذه الآلية المجموعات والمجالس المحلية على الالتزام بالمخطط ورفع التقارير كبنيةٍ أولية لتحولها إلى مؤسساتٍ مسؤولة ومُساءلة، في النهاية نحن في جاحةٍ لهذه الرقابة كي لا نتعرض لفقدٍ في المصداقية على الأرض.

هل هناك بالمقابل رقابة عكسية؟ أي.. هل يراقب المجلس والمواطنون أداء الجهة الداعمة أو المنفذة للمشروع؟

الجهة الداعمة للمشروع لا تقوم هي بالتنفيذ، فمثلاً يقدم المجلس المحلي مشروعاً لترميم شبكات المياه في المنطقة، لنقوم نحن برفع الدارسة للداعم الذي يوافق بدوره، حيث يمكن أن يقدم الأموال اللازمة أو المعدات، أو كليهما، عندها نقوم بإيصال هذه المبالغ أو المعدات إلى المجلس المحلس الذي يلتزم بتنفيذ المشروع بالتعاون مع أهالي المدينة، وهذه إحدى أساسيات المشروع، توجيه أبناء المناطق لإعمار مناطقهم، وبالتالي تكون الرقابة والمساءلة للمجلس من قبل الأهالي على تنفيذ المشروع، وتكون المساءلة من حق الداعم لنا في حال كان هنك تقصير في أداء المجلس أو الجهة المنفذة للمشروع.

هل سيكون هناك رقم ساخن أو إيميل للتواصل مع البرنامج من قبل المواطنين؟

حالياً اطلقنا موقع Syriaingreen.com، وهناك صفحة الفيس بوك، والإيميل info@syriaingreen.com مخصص للشكاوى، أما موضوع وسائل التواصل الاجتماعي والتواصل مع الناس من الخارج، فسيكون لدينا شخص مسؤول عن المشروع في كل بلدة أو مدينة أو قرية، ومن المفروض أن يكون معروفاً للجميع. في المراحل المقبلة انشاء الله سيكون هناك مكاتب تمثيل لتحقيق التواصل في حال كان هناك تأخير في أحد المشاريع مثلاً. القسم الأكبر من المشروع اليوم يتم إنجازه في ريف إدلب (سراقب، كفرنبل)، وتتم دراسة مشاريع المعرة وبنش، كما يتم التفكير بواقع ريف حلب، ببساطة كلما آمن المواطن بفكرة البرنامج أصبح تنفيذ المشاريع أكثر سهولةً، كما نرحّب بأيّ اقتراحٍ من أيّ شخصٍ يمكن أن يشاركنا فكرةً أو مساعدة، بالأخضر مشروع وطني يشمل الجميع وليس موجهاً لفئةٍ ما ضد فئةٍ أخرى.

النقطة المهمة في البرنامج هي الانتقال من مشاريع صغيرة تغطي شرائح صغيرة جداً من المجتمع، إلى برنامج وطني على مستوى البلد بأكمله، هل السقف الزمني مفتوح لهكذا مشروع، أم أن هناك سقف محدد من الداعم أو من الجهة الراعية للمشروع؟

حتى الآن وكما يبدو لنا فإن السقف الزمني مفتوح، الجهات الداعمة وطالما تستطيع لمس النجاحات التي تُحسِّن من وضع المواطن فهي مستمرةٌ في تقديم الدعم، هناك عدة شركاء يعملون على رعاية المشروع تحت إشراف وحدة تنسيق الدعم، وكي يكون المشروع أكثر تكاملاً سعينا إلى مشاركة الحكومة المؤقتة، والائتلاف نوعاً ما، وتقوم مجموعة أصدقاء سوريا حالياً بتغطية كلف المشروع، وتقوم تركيا –وهي إحدى الدول الداعمة– بتسهيل الإجراءات اللوجستية، هناك أكثر من دولة أبدت حماسها للمشروع وتحاول متابعته ودعمه.

هنا أود قول كلمة أخيرة، وهي أن المواطن السوري يجب أن يؤمن بأن هذا البرنامج هو مشروع وطني لا يصب إلا في خدمة وتسهيل حياة السوري في ظل هذه الظروف، وليس تابعاً لأجندةٍ ما أو معنياً بتبييض صفحة أحد، اعتدنا سماع هذه الاتهامات في الفترة الأخيرة، وهذا طبيعي، لكننا نعوّل على النتائج وعلى اليد السورية التي ستقوم بتنفيذ هذه المشاريع، وتحت رقابةٍ من أبناء المناطق والمدن المعنية وبالطبع المجالس المحلية، المستفيد في النهاية هو المواطن، وليست الجهات الخارجية أو العاملة في المشروع.

دروسُ مصر الممتنعةُ

خضر سلمان

من اللافت أن تَعقُّد الحالة المصرية، يرتب نتائج حاسمة وبسيطة، إذ تكاد تتلخص بـ كم من الأثمان المكلفة يمكن أن يترتب على الخيارات الخاطئة، وأحياناً بالكثير من الدم الذي لا يمحوه غير الزمن ومقتضيات انقضائه وحسب، كما لا يتمنى أحدٌ لمصر.

طبعاً ما من محاولةٍ للتقديم لفهم ما للصواب والخطأ عند استعمال تعبير الخيارات الخاطئة، وإنما أعني فقط ذلك النوع من الخيارات البائسة التي تؤسس للديكتاتورية عبر الثقة الساذجة بحسن نية قوى التقاليد في المجتمع، الخيارات الأكثر بعداً عن الثورية والأقل ارتباطاً بحاجات المجتمع الحقيقية، لصالح معارك الكبار على السلطة، هي ما أعنيه.

تطابقٌ غريبٌ ومشبوه للتاريخ المصري الحديث والمعاصر، الرسمي، مع النماذج التاريخية السابقة عليه، أو النماذج النظرية في التحليلات والقراءات. كأن مجرى الأحداث اتجه دائماً لمصلحة الأمر الواقع، بما يؤسس لفوز قوى المجتمع التقليدية بحق كتابة التاريخ، وطبعاً وفق مصادراتها السلطوية الميالة إلى النمذجة والتأطير والإلحاق، وبصورةٍ ثابتة ومتجذرة، للتخفف من واجب النقدية الضروري لتدوين جديٍّ وواقعيّ للتاريخ كان ليكشف البنى العميقة للتسلط والاستعباد وحراسهما. سيرة التزييف الطويلة هذه، يغلب أنها السبب في عدم قدرة كثيرين من المثقفين «الثوريين» خارج مصر على فهم حالة الاحتراب البطيء التي تعيشها. بعيداً عن هذا، تقطف مؤسسة السلطة في مصر انتصاراً جديداً، مُصادِرةً الحق في إيجاد الحل، بعد أن صادرت المشاكل وراء مشاكل مستدعاة قابلة للحل بالوعود والنوايا الطيبة وحسب. إذن الإخوان يريدون أخونة الدولة، وإذن الحل أن (لا) نؤخونها. ماذا لدينا؟ العسكر طبعاً، وبخلطتهم نفسها لا تزيد ولا تنقص، بيرقراطية عسكر، ورجال أعمالٍ قوية ومجرَّبة هي ما تحتاجه الدولة– الوطن، ولن يختار المجتمع المتعب المستنزف اقتصادياً والمتعشم في وعود الاستقرار، لن يختار تجريب شيءٍ آخر جديد بعد كل هذا الإرضاخ الطويل والخبيث، طريقة «الإقناع» نفسها تنجح مرة أخرى، وفي زمن ما سمي بـ«الربيع العربي»، وبمباركة راعين متحمسين لسردية الربيع العربي في مصر والمنطقة من سياسيين تقليديين ومثقفين وقوى مدنية.

لا يخيلْ لأحدٍ أنه يمكن الثقة بعد بما نعرفه عن «الخصائص المحلية» للواقع المصري، نحن لا نعرف شيئاً في الحقيقة عن هذه الأخيرة، فهي قد أُتخمت تنميطاً وتوكيداً وتسطيحاً، حد أن الوطنية المصرية هي الأخرى، وبعد أن تحولت إلى ما ليس أكثر من أداة ديماغوجية لا تلهم أحداً، تكاد تهترئ تحت وطأة الاستخدام الساذج المأزوم، وليكون من تعاسة فقراء مصر وعبثية وضعهم، أن عليهم قبل كل شيء تمزيق قميص الفقير الجميل، الفقير الراضي السلبي اللطيف الخانع، العبد الكامل، الصورة التي أرادتها لهم النخبة في مصر دائماً، منذ قبل محمد علي حتى، ليتمكنوا بعد ذلك من إيجاد تطبيقاتٍ لثقلهم الطبقي في المعترَك السياسي، بمعزلٍ عن استقطابات الكبار الكريهين بالتضحيات –التضحيات من جيب ودماء الآخرين طبعاً، والآخرون في مصر يصادف أنهم الفقراء دائماً– من أجل اليوتوبيا و«الأفكار» والصراعات «الناعمة» للنخب، مع تجاهل مؤشرات التوتر العالي التي يتناهى إليها الواقع المأساوي لقيعان السلم الاجتماعي والاقتصادي في الأرياف وأحزمة المدن الكبرى، التي تتسع رقعتها الديموغرافية بشكلٍ كارثي، وسط تخبط إرهاصات استواء مصر على خط «آمنٍ» وواثق للتغيير، نحو حلولٍ ثورية لا ينفع غيرها مع هذا التراكم الورمي للأزمات.

يبدو أن المشاكل التقليدية للدولة البرجوازية التي أسس لها محمد علي، والتي استمرت دون عتبات الانفجار وساكنةً على حال استقرارٍ قلق، بالطريقة المعهودة في توازنات المدنية الحداثية، كما فهمها محمد علي على الأقل، السلف المبكر لـ «المستبد العادل» العربي القادم من الجيش إلى السلطة (بلا نيةٍ في استخدام القوة ولا طمعٍ في الاستيلاء على السلطة!)، دخلت في طورٍ طويل من التعفن منذ استحكام دولة عبد الناصر الأمنية، نتيجة انكتام المجتمع تحت متطلبات المسؤولية الضمنية التي يحلو للديكتاتوريات العسكرية «التقدمية» العربية إلصاقها بالناس، مسؤولية «الشعب» عن مطابقة الرؤية المسبقة في وعي السلطة، ومطابقة ما «ينبغي» أن يكون عليه، لينال بالمقابل السعادة، أو أياً تكن.

لدينا مثالٌ قريب وأسود، القذافي الذي قلَّب ليبيا بين القومية العربية والفاطمية (!) والإسلام «القذافيّ» ثم هوس إفريقيا، بكل سلاسةٍ وبلا مشاكل تذكر، فالمجتمع لا يحتاج ليَصلُح، إلى أكثر من انقلابيٍّ متهورٍ وذي خيال. تقريباً هكذا كان يرى القذافي الأمر، أو هذا ما يقوله سلوكه المجنون.

ضخ عبد الناصر دماءً جديدة في الطبقة الوسطى المصرية التي احتاجها بشدة لتطويع المجتمع لأدلجة الاشتراكية الناصرية الهجينة، وكان هذا آخر تخديرٍ «فعال» للاختناق الطبقي في المجتمع المصري الكبير والمترامي، ولكن هذه المرة مع استبدادٍ عسكريٍّ «حديث»، معضود بجهاز مخابراتٍ قوي، الوصفة الحمقاء لأنظمة القرن العشرين الشمولية لـ«تصحيح» المجتمع. تفويضٌ على بياض –حتى لو بدأ الأمر بتعاقدٍ مؤقت– إذ بمجرد تحصيل«الالتفاف الشعبي» سيجيد «المستبد العادل» دائماً تدبر تقوية أجهزته وشحذ أدواتها، بما يضمن تفويضاً أطول قليلاً مرة بعد مرة، حتى يستتب مجتمع الرعب في النهاية على جثة آخر إنسان حر. (من المثير متابعة كيف سيتذكر السوريون اليوم طقس «تجديد البيعة»، وهو ما كان يطلق على النسخ الأخيرة من الاستفتاءات التي «وصل» بها حافظ الأسد مرةً كل سبع سنوات، طوال قرابة أربعين عاماً، إلى حكم سوريا).

اليوم تقف مصر على حافة الانهيار، وبين انهيارٍ «حميد»، أي مسارٍ ثوريٍّ قوي واعٍ لذاته ولشرطه التاريخي، حلم به ثوريو ٢٥ يناير، وما يحدث في الصراع على السلطة اليوم، تحاول جذوة شباب مصر أن تتنفس، ولو لمجرد البقاء، لحين بناء الصف الثوري من جديد. تتداخل المسارات لتقترب الثورة من رهانات السياسة وحساباتها أحياناً وتنطوي أحياناً أخرى، فنجدها تدلي بدلوها بقوةٍ بمددٍ من زخم ٢٥ يناير في الاستحقاقات السياسية جميعها، ثم تختنق في معركة صعود العسكريتاريا والفاشية وبقايا الطبقة

الوسطى وحراس التقاليد والفلول بثورة مضادةٍ داميةٍ أزهقت أرواح الآلاف في أيامها الأولى، آلافٍ من المواطنين المصريين الذين مارسوا الحق في التعبير عن الرأي، فكان نصيبهم الموت، لأنهم عبروا عن الرأي «الخاطئ»، كما يحاول أن يخبرنا الفلول الصاعدون اليوم.

إن من حقق الإنجاز الصغير في ٢٥ يناير كان الكتلة الضخمة من «بتوع العشوائيات»، أستعير التعبير من تسريبٍ لحبيب العادلي وزير داخلية مبارك من سجنه (قال أيضاً بالحرف إن «ثورة» ٣٠ يونيه هي الثورة الحقيقية، لأن من قام بها كانوا «أولاد ناس»، حسب ما أوردت صحيفة اليوم السابع المصرية بعددها ليوم الأحد ٢٢ سبتمبر ٢٠١٣!).

هذه الكتلة الهائلة ممن استنفذوا كل شيء ولم يعد لديهم ما تُخشى خسارته، من الفقراء والعمال اليوميين وعمال المصانع وسكان الضواحي المفقَرة، هي من يُنتظر اليوم أن تلملم جراحها وتسترد العزيمة والتوق إلى التغيير، بعيداً حتى عن «مفجري» يناير من بقايا اليسار النقابي والأحزاب التقليدية والثوريين بالنظرية، ومتاهات سلاسل التنازلات الإصلاحية التي ضاعوا فيها بعد ذلك، هناك، حيث طالما ضاع في أوحالها ثوريون واعدون عبر التاريخ، مضيعين معهم فرصاً ممتازة لصمودٍ مثمر وعنيد..

ماذا بقي من ٢٥ يناير؟ لا أدعي جواباً، لكنني أعرف في مصر من عليه أن يجيب، شبابٌ نشطوا من أجل قضايا الفقراء والمهمَّشين بإخلاص، عملوا ضد دولة مبارك في أيام قوتها وناموا في عراء ميادين التحرير وذاقوا سياط أمن الدولة وشاركوا في صناعة إنجاز يناير، ثم هتفوا بشراسةٍ ضد العسكر وأدانوا المحاكمات العسكرية للمدنيين ومحاولات إطالة عمر المرحلة الانتقالية آنذاك، صوتوا لمن اقتنعوا ببرنامجه ولم ينسوا أن يحاسبوا على الوعود، وهناك من قاطعوا استفتاءاتٍ واستحقاقاتٍ بدت حاسمةً في أيامها، لم يغرَموا بزعيم ولم يرتاحوا إطلاقاً لنهم الإخوان إلى السلطة، رفضوا انحراف الإخوان وأدانوا استئثارهم وهتفوا بسقوطهم، نزلوا في الحراك ضدهم وانكفؤوا في لحظة الانقلاب وسخروا من التفويض وصرخوا في وجه القطيعية ومروجي أسطورة البطل الشعبي، ونالهم من الداخلية في عهد الإخوان ما نالهم في العهود السابقة، وحين أُطلق الرصاص على العزَّل في ميداني رابعة العدوية والنهضة وكرداسة ودلجا والجامعات والمدارس والأحياء المعاقَبة وقرى الصعيد وسيناء، كانوا وراء الكاميرات المحمولة وعربات الإسعاف وفي المشافي الميدانية، يحتالون على حظر التجول ويسربون ما يمكن لمراسلي الإعلام الأجنبي ويحرصون على القيام بما يجب، بلا كثير كلام ولا كثير آمالٍ خداعة، ولكنه نداء الواجب الإنساني والثوري فقط لا أكثر. يحلمون بمصر بلداً لكل من يعيش فيها ساعة، ليس ثقةً بالتراب وبالماء الوطني المقدس أبداً، لكن لأنهم يدركون أن كل البلاد جميلة طالما كان الإنسان فيها حياً وأن المستغِل واحد والكفاح واحد، يستمرون في الحياة، يعملون ويحبون ويحلمون، يجلسون في مقاهي وسط البلد مساءً، متناقلين بغلٍّ آخر النكات حول وزير الدفاع السيسي، «البطل الشعبي» الرديء عديم الموهبة، يتندرون على معالم المرحلة القبيحة، ويفعلون شيئاً يغيظ الفلول والعسكر والجميع، لا أعرفه لأنني لم أعد هناك، لكنني متأكد من هذا..

مقاومون في العراق وإرهابيون في سورية!

حواس محمود

هنالك نقطة هامة جداً يتغافل أو يتجاهل الكثير من الكتاب والمثقفين والمتابعين طرحها في سياق دحضهم وتفنيدهم للآلة الإعلامية للنظام السوري، وهي أن هذا النظام نفسه كان قد أصاب أسماعنا بالصمم من ترديده لمقولة المقاومة والاحتلال في العراق، أي الاحتلال الأميركي البريطاني للعراق الذي حصل في ٢٠ آذار ٢٠٠٣، والذي أدى إلى إسقاط نظام صدام حسين.

وهو–النظام السوري– نفسه الذي كان يرسل جماعاتٍ تدربت عنده على القتل والإجرام إلى العراق، لقتل الشعب العراقي المسالم، وكذلك لقتل الجنود الأميركيين والبريطانيين، لإرباكهم وبالتالي إجهاض مشروع بقائهم في المنطقة، مخافة أن يهتز عرشه المستقر الآمن في سورية!، فكان قلقاً مضطرباً (وهو لم يقصّر بخلخلة الوضع العراقي حتى اندلعت الثورة السورية المباركة، فانشغل بالوضع الداخلي السوري)، وكل ذلك بحجة أن هؤلاء المسلحين المرسلين إلى العراق من قبله كانوا يقاومون الاحتلال الأمريكي في العراق وأنهم مقاومين وليسوا إرهابيين. علماً أن أمريكا كانت تدّعي أنها في هذه الحرب تحارب الإرهاب وتنظيم القاعدة الذي كانت تتهم النظام العراقي بإقامة تحالف ما معه –كان النظام السوري ضد الاحتلال لفظا ومع الإرهاب ممارسة– لكن الآن في الثورة السورية، يصف النظام السوري معارضيه السلميين والعسكريين بالإرهاب، ويحاول كسلفه المقبور نظام «القذافي» أن يتقرب من الغرب عبر بوابة محاربة الإرهاب، أي أن نقطة الالتقاء مع الغرب هنا هي محاربة الإرهاب، ويحلو للنظام السوري تشويه المشهد المقاوم الحقيقي السوري للظلم والإرهاب السلطوي الشرس –الذي فاق حدود التصور والعقل والمنطق–، عبر وسائله الإعلامية بلصق تهمة الإرهاب به، لكي يقوم بإقناع الغرب بأن الثورة السورية ما هي إلا حركةٌ إرهابية تضر نظامه وتضر المصالح الغربية أيضاً، وبرأي النظام: كانت الجماعات المسلحة في العراق مقاومة، لكنها هنا في سوريا إرهابية، ولكن أين محور المقاومة والممانعة من هذه المقارنة، ألا تتطلب المقاومة والممانعة محاربة أمريكا وإسرائيل، لا قتل الشعب الأعزل البريء المسالم، ومنع الأغذية عنه وتدمير منازله وبناه التحتية وضربه بالكيماوي؟!

الآن، في الحالة السورية ومع التدخلات الإقليمية والدولية الواضحة والجلية لصالح النظام دون أي نصير أو مساند دولي أو حتى إقليمي بصورةٍ قوية وملموسة للشعب السوري، يتحول النظام السوري إلى نظامٍ مستسلمٍ للغرب وللقوى الدولية، وينفذ شروط إسرائيل، ويزيل مخاوفها بتدمير الأسلحة الكيماوية وتدمير البنى التحتية السورية، وتدمير وتهجير الإنسان السوري العادي منه والكادر، ليكون النظام نفسه الآن مع الاحتلال ممارسةً وضد الإرهاب لفظاً (فسوريا محتلةٌ فعلياً بقوى دولية وإقليمية)، وتذهب مقولة المقاومة والممانعة أدراج الرياح من أجل الهدف الأساس، وهو كرسي الحكم ولو بالتحالف الضمني مع الغرب ضد الشعب.

الحركات المدنية في سوريا.. إلى أين؟

محمد الحاج

أين الحركات المدنية في سورية، و ما هي أسباب توقفها واختفائها؟ لماذا لا يوجد لها دعم كاف من قبل المجتمع الدولي؟

الحركات المدنية لها دور هام في إعادة بناء جيل سورية المستقبل قبل بناء أحجارها، لكن أين الائتلاف الوطني والحكومة الانتقالية والمنظمات الحقوقية المهتمة بالوضع السوري في هذا الموضوع.

في محاولة لنا للوصول إلى بعض الإجابات تحدث إلينا الناشط زياد، وهو عضو في تجمع «تمرد» المدني عن واقع الحركات المدنية في سورية:

علينا قبل كل شيء أن نعلم ما مفهوم الحركة المدنية بشكل مبسط، الحركات المدنية هي من بدأت ثورتنا، تنسيقيات الثورة، تجمعات الإغاثة، وما اصطُلح على تسميتها «مكاتب إعلامية»، كلها تخضع للمسمى نفسه، وأما عن أين هي الآن، أستطيع الإجابة بكل فخر، أننا، ومجموعة ليست بالقليلة من «منظمات المجتمع المدني» الناشئة حديثاً استطعنا خلال وقتٍ قليل خلق آليات عملٍ نعوّل عليها مع الكثيرين، لتكون جزءاً من الحل لحالة الاستقطاب التي يعيشها المجتمع السوري حالياً.

يقول زياد: «بصراحة الصعوبات التي تواجهنا هي كثيرة ولا تحصى، منها مناخ العمل في ظل سيطرة النظام القمعي السابق و تخوفه من أي شكل من أشكال التعاون والتجمع بين أفراد الشعب، استهلاك طاقة الكثير من الناشطين الذين تفرغوا وأنا منهم، للعمل الثوري، وقلة الخبرة أيضا.أريد الإشارة هنا، أنه ولو بنسبة أقل، فإن العمل في المناطق الخاضعة لسيطرة الجيش الحر أو الإسلاميين كان يعوزه المناخ أيضاً، بين حالة الحرب والقصف المستمر، والعديد من الاعتقالات التعسفية التي وصلت أحياناً لحد تصفية ناشطين مدنيين من قبل كتائب المعارضة. الوضع ما زال سيئاً، والحراك المدني غير مقبول من طرف العسكر، حركات التوعية رغم أنها عديدة، إلا أنها مبعثرة وتفتقد الإستراتيجيا، ذلك عائد لقلة الخبرة وتشرذم منظمات المجتمع المدني. أما عن أمثلة عن تلك الحركات، أعتقد أنك تلاحظ العدد الهائل من الصحف والمجلات الحرة، التي تُستخدم في المجال التوعوي، على اختلاف قدراتها و أهميتها. على الصعيد شخصي، كان لي أكثر من تجربة في هذا المجال، ويجب أن ننوه إلى أنه لم تختفِ الحركات المدنية، إدعاء ذلك هو كذبٌ مباشر، أو جهلٌ بتعريف الحركات المدنية. لم تختف المظاهرات المطالبة بإسقاط النظام، وتصحيح مسار الثورة إن أخطأت، لم تتوقف الجمعيات الإغاثة عن العمل، وذلك في طرفي حلب الشرقية والغربية، وكذلك افتتاح العديد من المدارس في المناطق المحررة، والحملات طبية، وغيرها الكثير، التي تعتبر كلها حراكاً مدنياً، ذلك هو القسم الواضح من العمل، وأود التوضيح، أن مراكز توثيق الانتهاكات في مجال حقوق الإنسان، والعديد من دورات المجتمع المدني لتوعية الناشطين حالياً بالمفهوم الذي لم يسمح له النظام حتى بالوصول إلينا، هي أمور خفية عن الإعلام الذي يلاحق الأخبار الساخنة حالياً لكن أثرها المقبل أكبر.

من نشاطات التجمعات المدنية في سوريا

بشكلٍ شخصي لا أحبذ تسمية إنجازات هذه الحركات، ولذلك سأكتفي بالقول بأن قدرة مجموعات الشباب هذه على التجمع وانجاز استراتيجيات قصيرة الأمد، ومشاريع توعوية في ظل ضغط فوضى السلاح هذه، هو بحد ذاته انجاز.

الخلاصة التي نتجت عن آخر اجتماع هو أن العمل المدني هو عملٌ باستراتيجياتٍ طويلة الأمد، لا يستطيع متابعٌ إنكار الاختلاف في الوعي المجتمعي السوري خلال السنتين ونصف السابقات، أي أن التحول الاجتماعي كان أساسياً في استمرار الثورة، ذلك التغيير لم يأتِ مع الريح، هو نتاج عمل دؤوب لمجموعاتٍ كثيرة من الناشطين المدنيين السوريين.

أنا شخصياً أتفق مع الكثير بأن التشرذم وعدم اتحادنا كان سلبياً جداً، التشرذم وانعدام الوحدة بدأت منذ تشكيل ثاني تنسيقية في حلب، للأسف يد النظام السابق هزّت كل أساسات جسور الثقة التي قد تُبنى بين مواطنين سوريين اثنين، ما بالك بتجمعاتٍ كبرى؟ لا تبرير لدي، إلا اعتذارٌ ضمني أننا لم نستطع تغيير هذه الحقيقة إلى الآن.»

أما الناشطة رنا والتي كانت عضواً في إحدى المنظمات المدنية التي تعمل في الداخل السوري فكان لها وجهة نظر مختلفة تماماً، تقول رنا: «الحركات المدنية وُجدت في البداية كعملٍ إغاثي للمدن المحاصرة الأخرى (**تجميع ألبسة–أدوية**) أو تأمين مبالغ مالية للعائلات التي نزحت من محافظاتٍ أخرى، إضافة للمظاهرات، وحملات التوعية، توزيع مناشير عن الوعي السياسي والحرية والديمقراطية، إضافة لزيارة أمهات الشهداء للتعزية، وفي بعض الأحيان محاولة تخفيف الاحتقان الطائفي–الأهلي– الطبقي، الذي كان يصدر من أهل الشهيد أو من قبل بعض الزوار. بصراحة الصعوبات التي تواجهنا هي مثل ذاتها التي يمكن أن يواجهها أي تنظيم، أمنية، تأمين دعمٍ مالي خاصةً في البدايات، صعوبة التنسيق والثقة بين الناس هي برأيي من أهم الصعوبات أيضاً.

أما عن حركات التوعية التي يجب أن تكون نابعةً منا في البدايات كان هناك محاولات (خجولة) للتوعية بسبب الحذر الأمني إذ لم يكن هناك مجالٌ كبير لإقامة حركاتٍ ذات عمقٍ وفعالية ولكن بعد الدمار وكثرة النازحين والشهداء والجرحى،

لم يعد هناك قدرةٌ على تقبّل حركات التوعية من الشارع في الفترة الحالية، إذ حالت الضغوط والأوضاع الإنسانية القاسية دون تقبل الناس لأية فكرةٍ لا تحمل لهم رغيفاً أو حلاً مباشراً لما يعانونه، إضافة إلى اعتقال وموت وسفر العديد من الناشطين المدنيين الأمر الذي أفرغ معظم المناطق من النماذج التي يمكن أن تكون فاعلةً في مكانها.

وربما سبب اختفاء الحركات المدنية بعد دخول الجيش الحرّ إلى حلب مثلاً هو انقسام ناشطي الحركات المدنية عموما إلى عدة أقسام، بين ناشطس إغاثة، وبين منفيين خارج البلد، وبين محاصرين بالتواجد ضمن المناطق الخاضعة للنظام والعمل الإغاثي ضمنها، والبعض منهم تقاعد مبكراً محاولاً أن يكمل حياته بالطريقة التي تسمح له بها الظروف بعد أن تعقدت الأوضاع كثيراً وأصبحت (كل واحد عم يدفع من كيسو»، ومن الممكن أن أحد هذه الأسباب أيضاً هو عرقلة بعض الكتائب للحركات القليلة التي كانت تحاول إتمام عملها بسبب التوجه الاسلامي واتهام المدنية بالزندقة ومعاداة شرع الله، هذه الكتائب ليست تابعةً بالضرورة للجيش الحر، مثل جبهة النصرة وتنظيم الدولة الإسلامية في الشام والعراق، الفصائل المسلحة تابعة لعدة جهات متخلفة بأيدلوجيتها.

وفي حال قررنا أن نكون واقعيين، فإن الانجازات التي تم تحقيقها إلى الآن هي لا شيء أمام الذي يحصل الآن، لم يعد هناك شيء من يمكن انجازه في ظل استمرار العنف المتبادل واستمرار التحريض والاحتقان سواء الطائفي أو الطبقي.

في كل يوم يطرأ تغييرٌ ما على الأرض، سيطرة تنظيم الدولة على المناطق المحررة والبدء بحملة اعتقال الناشطين، الأمر الذي أجبرهم على السفر إلى تركيا، يمكن أن يعد من أهم أسباب غياب الحركات المدنية في تلك المناطق، لتنحصر نشاطات من بقي بين تأمين مستلزمات للمستشفيات أو افتتاح مدارس، وبعض النشاطات الإغاثية.

بعد سقوط النظام يجب أن يتم العمل أولاً على السلم الأهلي وزرع الوعي، بحيث يتم الحصر من الجرائم الانتقامية التي سوف تحصل بشكل مؤكد نتيجة انتشار السلاح بشكل عشوائي وكثيف، وبعد ذلك من الممكن أن يتم العمل على مجالات أخرى منها شكل الدولة وتشكيل الأحزاب.»

بالطبع فإن رأي ناشطين فقط من ناشطي المجتمعات المدنية لا يعبر بالضرورة عن جميع أراء المنظمات المدنية التي تحاول العمل في الداخل السوري، ولكن هذا إن دلّ على شيء فهو يدل على استمرارية حالة انعدام الرؤية الواضحة لدى المنظمات في ظل غياب الدعم المادي والمعنوي لها وتأمين الحماية ومستلزمات العمل في الداخل السوري.

وفي آخر المطاف نسعى هنا ومن هذا التحقيق إلى تسليط الضوء على أهمية عمل المنظمات المدنية ومدى حاجتنا لها لتأسيس سوريا المستقبل لجميع السوريين.

جواز سفر سوري حر

لقمان ديركي

طالما هناك شعبٌ في المنفى، فلا بد من حكومة منفى، فإذا كان الإئتلاف أو المجلس الوطني يعتبرون أنفسهم حكومة منفى، فلا بد من الإستدراك بسؤالٍ عن معنى الحكومة ووظيفتها، فلا المجلس الوطني اختاره الشعب المنفي على الأقل، ولا الإئتلاف اختاره شعب المنفى، هم أشخاص عُينوا تعييناً، أو ربما انتُخبوا انتخاباً، لكن من قبل شعبٍ آخر، ربما انتخبهم الشعب السعودي ليقودونا، أو ربما الشعب القطري، أو ربما الشعب الأمريكي، لا نعرف تحديداً أيّ شعب نسبته في الإنتخابات أكثر، يعني وضعهم يشبه وضع حكومة الداخل التي انتخبها الشعب الإيراني والشعب الروسي بل وحتى الشعب اللبناني، هكذا يبدو الأمر في حال سلّمنا بالإنتخابات ووجودها حقاً، لكن الأمر في الحقيقة لا يتعدى كونه أننا نملك حكومتين معينتين من قبل عدة حكومات أخرى، ولا علاقة لشعوبها أيضاً بما يجري، وحاصل الأمر أن الحكومتين اللتين تجلسان إلى مائدة الحوار لا تمثلان أحداً في سوريا لا من قريبٍ ولا من بعيد، لا من الداخل ولا من الخارج، والشعب في الداخل يموت دون أن يلبي نداء استغاثته أحد من أبناء حكومته الوطنية التي تقتله طبعاً، والشعب في الخارج يضيع دون أن يمسك بيده أحد من أبناء حكومته التي تضيعه أصلاً، وباعتبار أن حكومة الداخل هي أمرٌ واقع لا حل له سوى باقتلاعه، فإن حكومة المنفى يمكنها أن تكون موجودة إذا كان لا بد من وجودها لكن بشكلٍ ملموس، يعني أن تهتم بشؤون شعب المنفى، فالعدد في الخارج صار بحجم العدد في الداخل، فما المانع من تشكيل حكومةٍ وإجراء انتخابات برلمانية لتشكيل برلمان في الخارج يمثل الشعب الذي في الخارج على الأقل؟!! حتى لو اشتروا الأصوات بصندويشات الشاورما، يا سيدي قبلانين، المهم نشوف موديلات المسؤولين وهنن عم يزوروا المخيمات ويوزعوا صندويشات الشاورما ليجمعوا أصوات، بس على الأقل نعرف أنو في عنا حكومة مهتمة بشؤوننا، في جهة غير النظام

لقمان ديركي

تجدد جوازات سفر أولادنا، في جهة غير النظام تعطينا وثائق مطلوبة، والشغلة بسيطة، بدنا جواز سفرسوري حر أسوة بالجيش السوري الحر، وترى ما بيكلف شي، شيلوا النسر من على الجواز النظامي وحطوا طير حر على الجواز السوري الحر، راكب عليه كتير بيجي الطير الحر ولبقان، موعلى أساس في كم دولة عظمى وصغرى ما عاد اعترفوا بالنظام، مو على أساس قالوا أن هذا النظام فقد شرعيته ومصداقيته وربما عذريته أيضاً؟!! مو هيك عم يصرعونا ليل نهار من تلات سنين ونيف، وما أدراك ما نيِّف، الشعب

كله صار مصيِّف، بأربعينية الشتاء عم يلبس المايوه، سواح بالصرماية يا أبو شريك صرنا، وما عاد مشينا إلا بالشورت، مو من الفقر لا سمح الله، وإنما للتأكيد على أننا سواح، ولو بالصرماية، ليش ما بيعملوا لنا وزارة صحة في المنفى، وزارة من شأنها المحافظة على صحة السائح السوري والعناية بأمراضه النفسية والجسدية والإجتماعية والأسرية، حاكم الناس صار معها سكري من قد ما أكلت خوازيق، والله الإخوة المصطافين خجلانين يطلبوا من الحكومات الأجنبية اللي عم تستضيفنا أي طلب، يعني فوق موحاوينا الجماعة، بقى اعملوا لنا وزارة مالية مشان لنعرف على الأقل لوين عم تروح المصاري اللي عم يدعموا الشعب السوري فيها، على الأقل نعرف حصة بطيحان من حصة فليحان، ونميز حصة فليتان عن حصة عليتان، أو وزارة مواصلات مشان تشرف على تهريب المواطنين عبر السفن إلى إيطاليا واليونان، لأنو مومعقول نسمع كل شهر بسفينة غرقت وضحت بركابها السوريين لأسماك القرش، وقرش فوق قرش بنعمر للحكومة دار، وبنعمل منها مزار، وبيقعدوا جواتها ناس وبيتقاسموا الأموال، ونحنا عم نطرق عَ الباب وبطريقنا عم نطرق موال، ولا مين سمع، ولا مين فتح الباب، لكن المهم نعرف أنو في باب نطرق عليه، باب هو من حقنا، حتى لو سالت من أيدينا ونحن نطرق الدماء.. حتى لو كانت خلفه الصحراء.

دمشق – كييف عبر القاهرة

مرهف دويدري

مع نهاية الجولة الثانية من مفاوضات جنيف٢ بين النظام والائتلاف الوطني دون إحراز أيَّ تقدم على المستوى السياسي، خاصةً فيما يتعلق ببند هيئة الحكم الانتقالي الذي ينهي حقبة الديكتاتور في سوريا، يخرج علينا الأخضر الإبراهيمي باعتذارٍ لا معنى له عند السوريين الذين يتعرضون لقصف البراميل في الشمال، والتحريض الطائفي عبر أغانٍ ساقطة تتحدث عن حسم النصر في مدينة يبرود، وكأن الحزب الذي يتخذ من لفظ الجلالة اسماً له يتحدث عن كيرياتشمونة، خصوصاً أنه وصف المقاتلين بجيش اليهود، فقط لأنهم ضد الديكتاتور –لتُقذف كرة الاتهامات بين راعيي المفاوضات الأمريكي– الروسي؟ فيما ذهب لافروف إلى فكرة أن الوفد المعارض قد أتى إلى جنيف لتغيير نظام دمشق!!

بدأت دول الخليج تشعر بسخونة الموقف في سورية بعد تعنّت النظام فيما يتعلّق بفكرة أن بنود جنيف١ الذي هو أساس جنيف٢، يجب أن تكون ابتداءً من البند الأول وصولاً إلى الأخير، وأنه بذلك يتهرب، أو أنه يشتري الوقت بغية عدم الذهاب إلى بند هيئة الحكم الانتقالي، مستفيداً من تفاسير الحليف الروسي «صاحب الفيتو» على أي قرارٍ لإدانة النظام حتى ولو تعلق بالمساعدات الإنسانية التي ربما تذهب إلى الإرهابيين حسب تفسير لافروف؛ وللترغيب أرسلت الدول الداعمة الحاكم العسكري في مصر، عبد الفتاح السيسي، لعقد صفقة أسلحةٍ ضخمة مع روسيا، وتعاونٍ عسكري يعيد إلى الأذهان الفترة الذهبية للغرام المصري–السوفيتي زمن عبد الناصر، وتسرب أن السعودية ودولة الإمارات هما من ستدفعان ثمن هذه الصفقة، وأنها من الممكن أن تذهب إلى أن تكون هناك قاعدة عسكرية روسية في الساحل الشمالي– المصري، ربما تكون بديلةً لقاعدة طرطوس البحرية، كتعويضٍ للمصالح الروسية مع النظام السوري كي يتخلى عنه كخطوةٍ أولى لإنهاء النظام، وكسر القوس الشيعي الممتد من طهران إلى الضاحية الجنوبية اللبنانية، عبر بغداد ودمشق.

لعل الاجتماع السري الذي عُقد في مدينة بيرن السويسرية، بالتوازي مع مفاوضات جنيف، وما تمخض عنه من اتفاقات لم تنضج بعد بين الأميركي الذي يجيد إدارة الأزمة السورية بكلامٍ معسول وتصريحاتٍ نارية لإنهاء الأسد من جهة، والروسي الذي استطاع أن يقرأ الموقف الأوربي الذي يريد أن يرمم الوضع الاقتصادي لمنطقة اليورو، وبدأ يقود الأزمة السورية بنفس الطريقة الهمجية والمتوحشة التي قاد من خلالها الحرب الشيشانية، وهو يحاول أن يصل إلى اتفاقٍ بين النظام السوري، وأية معارضةٍ توقع على اتفاق تعلن من خلاله انتصار النظام المجرم على الشعب الذي خسر كل شيء ليضمن مصالحه من الانهيار في الشرق الأوسط، مستفيداً من الصمت الإسرائيلي على الأسد الذي أجاد لعب دور العدو الأكبر لإسرائيل! ربما لم تثمر بالشكل الأمثل رحلة الترغيب التي تصدّرها المشير عبد الفتاح السيسي لإنهاء السيطرة الأمريكية على القرار المصري، على الرغم من عدم وقف المبالغ السنوية التي تقدمها الولايات المتحدة لمصر على سبيل معونةٍ للاقتصاد المصري، أو أن الروس مازالوا لا يجدون تفسيراً للمعضلة، و فكرة أنه كيف يمكن لنظامٍ أن يقبض من قطبٍ عالمي ليشتري سلاحاً من قطبٍ عدوٍّ له؟!

ويتمدد صراع المصالح إلى حليف الدب الروسي فيكتور يانكوفيتش الذي رفض التوقيع على الانضمام إلى الاتحاد الأوربي، وتبدأ رحلة المظاهرات ضده للضغط عليه من أجل التوقيع، إلا أن حليفه الروسي ربما أقنعه أنه سيدعمه ضد هؤلاء المخربين، وهنا تبدأ فكرة الترهيب، ولعبة تصفية الحسابات للضغط على الحليف، وفك الارتباط بين روسيا وأوكرانيا، التي تعتبر الخاصرة الرخوة سياسياً للدب الروسي، لتبدأ جولة مفاوضاتٍ ذات سرعةٍ عالية في كييف بوجود موفدٍ روسي لحل الأزمة، بعد دخول السلاح إلى كييف وانتقال الصراع إلى المربع الأخير.

ربما يصدق الشاعر العربي عندما قال:(ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً.. ويأتيك بالأخبار من لم تزود)، وتبدأ العقدة السورية بالحل من أوكرانيا التي بدأت عواصفها تضرب الكرملين، وتلفح وجه بوتين ليراجع أفكاره، ويقتنع بزيارة الترغيب السيسية كحلٍ للأزمات التي حاولت روسيا أن تأخذ فيها زمام المبادرة لحكم العالم، لكن على ما يبدو أن الدب الروسي سيعود إلى قفص السيرك الذي هرب منه!

Syrian Children Relief
A O S
جمعية كفالة أيتام سوريا

قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين

للتبرع

Banca Pop. dell'Alto Adige soc.coop.pa
IBAN: IT 04 P058 5611 6110 6657 1249 054
BIC: BPAAIT2B066
Reyhanly / Hatay Turkiye Is Bankasi
IBAN : TR 18 0006 4000 0026 1300 1393 23

00905353978480 - 00393356073777

facebook.com/SyrianChildrenReliefIt

email: syrian.rf@gmail.com

من نوروز إلى أكيتو.. عيش مشترك.. ربيع دائم

أسامة أحمد

عنوان المقال مأخوذة من حملةٍ أطلقها ناشطون تعزيزاً ودعما للعيش المشترك بين مكونات المجتمع في مدينة القامشلي، وذلك من ٢١ آذار إلى ١ نيسان في العام الماضي. تسارعت الأحداث خلال هذا العام في المنطقة، وتسارعت وتيرة العمليات العسكرية والانقسامات السياسية والمجتمعية، لدرجة أن الناشطين لم يعد بمقدورهم اللحاق بركب هذه الأحداث، تغيرت المعطيات على الأرض وتغيرت الكثير من المواقف، وانحسر البعض في زوايا قومية وطائفية، وحشروا أنفسهم مع الطوفان، منهم لغاياتٍ شخصية، ومنهم معتقداً أنها سفينة نوح ومتجهة الى جبل جودي.

رغم أنهم عارفون بالتاريخ ومدركين أن للربيع ألواناً وليس لوناً واحداً. يموت آلاف الناس لأن المغرورين والمتكبرين يرفضون الإصغاء والمشاركة، يعتقدون أن الإصغاء والمشاركة إهانةٌ لعبقريتهم ومعارفهم، والنتيجة استمرار العنف والموت.

يقول ميخائيل نعمة «لو أن فظاعة الحرب توقفت عند تشويه الأجساد وإزهاق الأرواح وتخريب العامر من الأرض وتهديم الآهل من المدن والقرى، لكانت بعض الفظاعة وبعض البشاعة، ولكنها تشوه الروح في الجسد قبل أن تزهق الروح، وتخرب العامر من العقول قبل أن تخرب العامر من الأرض»، الأحجار يُعاد تعميرها، ولكن النفوس من الصعب تعميرها من جديد.

على المستوى الشعبي لدينا ذاكرةٌ جمعية مشتركة، وطقوسٌ احتفالية متشابهة، وحتى أعياد متشابهة من حيث الأسطورة أو الاحتفال.

نوروز الذي يصادف في ٢١ آذار، عيد له علاقة بالطبيعة والربيع والتحرر، ارتبطت بهذا العيد الكثير من الأساطير، مازالت ترددها الجدات على مسامع الأبناء بأشكالٍ متعددة، ففي ليلة نوروز قَتل «كاوا» الحداد الظالمَ «ضحاك»، الذي كان يتغذى على أدمغة الشبان والأطفال الكورد كما تقول الاسطورة، وأشعل ناراً على قلعة «ضحاك» معلناً الخلاص والتحرر من هذا الظالم، وعند الهنود الآريون يعتقدون أن الكواكب كلها خلقت في أول برج الحمل، وكلمة

جانب من الاحتفالات في عيد النيروز

نوروز تعني «newroz»بالكردية اليوم الجديد، وهو يوم الاعتدال الربيعي، وتقابلها في في اللغات الهندوأوروبية كلمة (NEUSYARES) كما في الألمانية والإنكليزية «NEW» واللاتينية والإغريقيةnews» «، في ليلة نوروز تُضرم النيران احتفالا بالعيد وتقام حولها الدبكات، وفي يوم نوروز اعتاد الناس على الخروج إلى الطبيعة واقامة الحفلات والدبكات الفلكورية ويتزينون باللباس القومي الكوردي.

وقد تغنى الشعراء وألفوا كتاباتٍ وقصائد على عيد نوروز، فكتب عمر الخيام «نورز نامه» الذي تناول فيه المراسيم والطقوس الخاصة بهذا العيد، كما كتب عن نوروز الشاعر سعدي الشيرازي في كتابه روضة الورد «كلستان»، وفي الدولة العباسية التي قامت على أكتاف الأعاجم تغنى شعراء كثيرون بعيد نوروز، أمثال البحتري والمتنبي، ابن الرومي، أبو تمام، والشريف الرضي الذي قال :

«وأنعم بذا النيروز زوراً نازلاً ومنتظره
آل بويهٍ أنتم الأمطار والناس الخضره»

وفي الأدب العربي الحديث وعلى عكس الأنظمة العربية المحدثة قسراً، استخدم بعض الشعراء مناسبة نوروز رمزاً كفاحياً وتحررياً للشعوب ضد الاستعمار وأعوانه، ومن هؤلاء الشاعر بدر شاكر السياب في قصيدته «وحي النيروز»، داعياً إلى تكاتف الشعبين الكردي والعربي ضد مخططات الاستعمار في المنطقة، ونذكر منها:

«طيفٌ تحدى به البارود والنارما حاك طاغٍ وما استنباه جبار»

ذكرى من الثورة الحمراء وشّحها بالنور والقانئ المسفوك، آذار»

وكما نوروز أيضا أكيتو يقيم الشعب الكلدو آشوري السرياني احتفالاتٍ شعبية في الطبيعة حسب طقوس وتقاليد قديمة فيعقدون المهرجانات الفنية والتراثية، من غناء ودبكات وغيرها من التقاليد التي تعبر عن ثقافتهم وحضارتهم ويعود الاحتفال بهذا العيد حسب مصادر إلى ٦٧٦٢ عام قبل الآن، والذي يحظى بمكانةٍ خاصة؛ لما يحمل هذا العيد لدى أبناء هذا الشعب لما يحمله من قيمٍ ودلالات إنسانية وفلسفية رافقت مسيرته الحضارية، وتجذرت في تاريخهم وحاضرهم، ويتوسمون في هذا العيد الكثير في مستقبلهم، وعيد أكيتو «رأس السنة الهجرية» ويلفظ باللغة الآشورية «خا بنسيان»، يمثل بداية الخير وقدوم الربيع، ويعتمد على أسطورةٍ مفادها «زواج عشتار إلهة الحب من تموز إله الخصب»، وتحتوي الأسطورة الكثير من التفاصيل عن احتجاز عشتار في العالم السفلي وعدم اكتراث زوجها لها، فعوقب من قبل مجلس الآلهة بمنحه الخلود النصفي أي يبعث في أول نيسان إلى نهاية أيلول.

نتطلع ليومٍ جديد تصبح فيه أعياد مكونات الشعب السوري لجميع السوريين، أعياد الكورد والعرب والآشوريين والأرمن والشركس والمسلمين والمسحيين واليزيديين أعياداً وطنية، ممارسة الطقوس علناً لا يدل على انقسامنا، بل تثبت فينا روح التسامح والتشاركية، فلنجعل من أعيادنا مهرجاناً للسلام والحرية.

الراحل تاج الدين الموسى..
و«السباق بالمقلوب» مع الزمن!

نور مارتيني

عامان مضيا ببسطارهما الثقيل، حلقت فيهما رياحين كثيرة، رياحين ديست بالأحذية، أخرى عصفت بها الرياح، ورياحين ذوت وذبلت قهراً. وذوت روح تاج الدين الموسى وذبلت قهراً، لم تستطع أن تتعايش مع حجم الحقد الذي يحوطنا، لم تحتمل رائحة البغض والرصاص، فآثرت أن تمضي إلى هناك، حيث رائحة المسك والبخور تعبق في كل الأمكنة.

لم يكن تاج الدين الموسى شخصاً عابراً مرّ في درب الثورة، لقد كان ظاهرةً متفردةً وثّقت شكلاً جديداً من أشكال العلاقة بين الشارع والمثقف، هذه العلاقة الجدلية بجميع المقاييس، فمأساة الثورة السورية الكبرى هي حالة الخصومة بين الشارع الثائر والمثقف الذي يريد أن يؤدلج الثورة، ويفصلها على مقاييس قرأها أو سمع بها، ولكن لم يسبق أن جرّبها من قبل، وبالتالي لا يحق له أن يدّعي المعرفة بها، فلكل شعبٍ خصوصيته، وهو الأقدر على تمييز مكامن هذه الخصوصية في ذاته؛ ومع ذلك فقد تمكّن تاج الدين الموسى –رحمه الله– من تجاوز هذا المطب بفطرته الريفية البسيطة.

كل من عاصر بدايات انتفاضة الشارع الإدلبي سيذكر ذلك الإنسان الحقيقي وهو يمشي لاهثاً في المظاهرات التي كانت تجوب شوارع المدينة، مع أنه كان يعيش على نصف رئةٍ فرئته الأخرى كانت قد استؤصلت قبل سنوات بفعل مرض السرطان، والأخرى كانت شبه تالفة، ومع ذلك لم يكن هذا يمنعه عن السير في المظاهرة، وفيما كان صديقه –المنجد– خطيب بدلة، الذي كان شريكه في رحلة الكلمة، كما كان شريكه في التمرد على تلك الطغمة الفاسدة، يتابعه من نافذة السيارة، حتى إذا نال التعب منه أسعفه وأركبه إلى جانبه وتابعا المظاهرة دون أن يذهب إلى بيته، حتى تُنجز المهمة على أتم وجه.

في الوقت ذاته، كان أباً روحياً لجميع الشبان، فقد كان لا يألو جهداً في تقديم أية خدمة أو نصيحة لكل من يقصده منهم، مقوّماً أخطاءهم ومسدياً لهم النصح، حتى وهو في أتعس حالاته الصحية. ليس من السهل أن يجمع المثقف بين هاتين المهمتين الجسيمتين، أن يقود الشارع ويحتفظ بهيبة المثقف، وأن يوصل معارفه لمن هم دون سوية ثقافته، بدون أن يتنكر لتلك الثقافة، أو يوارب على مواقفه، ولكنه بسجيته الطيبة وحكمته تمكن من تحقيق هذه المعادلة.

لقد كشف الراحل تاج الدين الموسى زيف معظم اليساريين الذين كانوا يتشدقون بالشعارات الرنانة حول الوطن والمواطنة، والانتماءات الضحلة؛ حيث كان مثالاً لليساري الذي انحاز إلى تطلعات الشعب وانحاز لصفه، في وقتٍ انكفأ الكثير من اليساريين نحو انتماءاتهم الحزبية الضيقة، متناسين أن أهم الشعارات التي تنادي بها أحزابهم هي المساواة ومحاربة التمييز الطبقي، ومع ذلك لم يتورعوا عن وصف من خرجوا في مظاهرات الحرية بـ «الرعاع»، والتقليل من أهمية المظاهرات، لأنها بحسب ادعاءاتهم «خرجت من المساجد».

كل هذه الحجج الواهية كانت عبارةً عن تبريرٍ للقاتل وخدمة للمصالح، وهذا ما دفع بتاج الدين والكثير من اليساريين والليبراليين الشرفاء أن يتجاوزوا هذه الترهات ويوجّهوا بوصلتهم نحو الإنسان في سوريا، الجهة التي تاهت أحزابهم عنها!

قضى تاج الدين أواخر أيام حياته في مشفى «الهلال الأحمر»، ومع ذلك فقد كانت غرفته قِبلةً للجميع، كان يكتب بيدٍ على جهاز الكومبيوتر وهو في غرفة العناية المشددة، بعد أن تمكن «الشباب من تهريب سيرف له» بحسب تعبيره الساخر، أما اليد الأخرى فكان يضع فيها «السيروم»، وحين تحتدم النقاشات الثورية كان ينزع جهاز الأوكسجين عن فمه وأنفه، ينفعل، يصرخ ثم تنتابه نوبة سعال فيعيد الجهاز إلى مكانه.

القاص الراحل تاج الدين الموسى

رحل تاج الدين في ٢٢ شباط ٢٠١٢، وفي ذلك خيره، فلم ير الأصدقاء ينفضون عنه، هاربين من بطش نظام لا يرحم؛ بعد أيامٍ قليلة من رحيله بدأت عملية الجيش السوري للسيطرة على المدينة، وهرب من هرب، واعتُقل من اعتقل، واستشهد من استشهد من أصدقائه.

رحل وهو محاطٌ بمحبة الجميع، حتى أن الثوار أقاموا له عزاءً في ساحة الشهداء في المدينة، تلك المحبة التي زرعها طوال سني حياته، كانت حصاده في آخر العمر.

بطاقة تعريف

القاص تاج الدين مصطفى الموسى

المواليد: قرية كفرسجنه – ريف محافظة إدلب ١٩٥٧/١٠/٢

الدراسة: معهد نفط.

العمل: موظف بشركة محروقات – فرع إدلب

من مؤلفاته:

١– مسائل تافهة – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢

مسائل تافهة ط٢ –دار الينابيع– دمشق ١٩٩٣

٢– الشتيمة الأخيرة –وزارة الثقافة– دمشق– ١٩٩٥

٣– حارة شرقية وحارة غربية –اتحاد الكتاب العرب١٩٩٦

٤– سباق بالمقلوب –دار الينابيع– دمشق ٢٠٠٠

٥– مجموعة قصصية عن اتحاد الكتاب العرب بعنوان «الخائب»

فاز بعدد من الجوائز على الصعيد العربي والمحلي

منها جائزة سعاد الصباح– المركز الأول– دورة عام ١٩٩٢

ممارس العمل الصحفي بالإضافة إلى كتابة القصة والسيناريو.

اللجوء وأثره النفسي

جنان علي

عمل للفنان وسام الجزائري

الإحباط، مفهومٌ رائج بعاميته وتعميمه، كغيره من المفاهيم النفسية التي دخلت منظومتنا الحياتية، لكن اذا أردنا اليوم تعريفه قلنا:

«هو العتبة الأخيرة للحالة النفسية التي يقف عندها الفرد مراجعاً أفكاره وأسباب تعثره، والنتائج التي أفضت به إلى عدم وجود الخيارات»

وعليه يوصف الإحباط على أنه اضطرابٌ نفسي رائج كنتيجةٍ وليس كعلة، ولنفهم جوانب هذه النتيجة وجب علينا دراسة إحدى علله الأكثر تفشياً في الملف السوري، ألا وهي اللجوء، وصولاً بنا إلى أدوات النهوض عن هذه العتبة والارتقاء لعتبةٍ تبدو حالياً عتبة النجاة الأولى.

تُعتبر سوريا اليوم ساحةً لطروحٍ جديدة للنزاعات والاقتتال الداخلي من جهة، وتجربةً لإدارة حربٍ عالميةٍ عن بعد، أرضها سوريا كبيئةٍ مناسبة لصب كل النزاعات الخارجية والتسويات الدولية في منطقةٍ واحدةٍ بحيث لا تؤثر على آلية سير هذه التسويات والمصالح، وكنتيجةٍ لما سبق فقد طالت الحرب مجملَ التركيبة الاجتماعية في البلاد، ولا سيما الفئات ذات الدخل المحدود، من الأُجراء وأفراد الطبقة الوسطى السابقة، والتي كانت المكون الرئيسي للمجتمع قبل الحرب، فولّدت اختلالاتٍ اجتماعية كبيرة شكّلت تراكماً لمعضلات مزمنة.

وعليه باتت سوريا بؤرةً من النزاعات والقوى المتصارعة فكان للسوريين النزوح كحلٍّ من الحلول القليلة المتاحة حيناً، وفي معظم الأحيان خياراً وحيداً أُجبروا على اتخاذه، وتجلى ذلك بالتهجير القسري سواءٌ كان تهجيراً داخلياً أو خارجياً.

وكان لاستمرار ووضوح انخراط الذكور في هذا النزاع من حيث التحاقهم بالجهات المسلحة، أو من خلال الاعتقالات التي كانت تكثّف عليهم من قبل النظام، وموت الكثيرين منهم، واختفاء بعضهم، دورٌ كبير في التأثير على الأسرة من حيث تماسكها المعنوي الاجتماعي والمادي، فأضاف النزوح مرارةً جديدةً لهذه العائلة السورية المتغربة، وأمست مفككةً ضعيفة البنية، ودون عائل لها في معظم الحالات.

يعد التهجير من أكبر صدمات الحرب، من حيث الشعور بالاقتلاع وفقدان المجال الحيوي المطمئن والمألوف، والوقوع في عالمٍ غريبٍ يفتقر لمقومات الحياة العادية، وكذلك اضطراب لرؤية الفرد للمستقبل، والوقوع في الهامشية التعليمية والمهنية من بعدها، والتحوّل نحو الجماعات الجانحة، سواءٌ كانت مسلحةً أم غير مسلحة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى الصعوبات الاقتصادية (كالبطالة بمختلف أشكالها)، وأثرها على جو الأسرة وتماسكها وانعكاس ذلك على أبنائها.

إن انعكاسات اللجوء والتوترات المصاحبة لها، ن غموض المستقبل والأزمات الحياتية المصاحبة لها من حيث المسكن (داخل المخيمات وخارجها)، وصعوبة تأمين العمل، وكيفية تعليم الأطفال وعدم توافر مدارس أو قلتها، صبغَ الجوَّ الأسريّ للأسرة اللاجئة بهالةٍ من التوتر الدائم، «صراع الأفكار حول العودة أو البقاء، تبلّد في الجو الأسري، كآبة وضيق، فورات غضب بين الوالدين تنعكس على الأطفال على شكل إحساسٍ بالقلق والعجز، وأخيراً القلق من الأخطار المفاجئة، وما تؤدي إليه من تحديد حرية الطفل بشكلٍ مرضي، وتضيق مجاله الحيوي، وبالتالي انكفاؤه إلى دائرةٍ مغلقةٍ تفتقر إلى المثيرات الحياتية».

وتتأثر وظائف الأسرة التقليدية حينما تفقد قدرتها على اشباع حاجات أبنائها المادية والمعنوية، ومن ثم تفقد انتماءهم إليها، لأن الانتماء عمليةٌ نفسيةٌ جدلية، تتكون بين الفرد والجماعة التي تحقق له الإشباع، ويؤدي عدم توافر ذلك إلى شحوب الانتماء إلى الأسرة، وبالتالي الانتماء للوطن، وتهديد الهوية كمحصلةٍ نهائية.

كل هذه الظروف النفسية المحيطة بالمكون الاجتماعي الأساسي (الأسرة)، أدى لحالةٍ من اليأس المزمن والعجز عن ايجاد حلولٍ لمسألة تعدت المسكن والوطن، وتخطتها إلى أزمة الوجود بحد ذاته، ولفكرة مدى القدرة على الاستمرار ببدائل تكاد تكون وهمية في معظم الحالات.

وهنا يصبح العجز بحد ذاته علةً وسبباً حتمياً لحالةٍ من الاحباط المستديم، وعدم القدرة على النهوض إلا بحلولٍ حقيقيةٍ لكل أسرةٍ سورية تجد نفسها الآن في مهب الريح، فلا ثوابت تنتمي لها ولا واقع تصبو إليه، مجرد تأرجحٍ بين الاثنين.

أخيراً نطرح هنا كيفية تأقلم الأسر مع أخطار اللجوء، وذلك بعوامل محتملة للتخفيف من المشكلات النفسية والتي تحدث بشكل آليّ لدى اللاجئين والدول الراعية لهم.

عامل التكيف والتأقلم مع الحرب، وتشكيل شبكات احتضان الأهالي في النزوح والهجرة، وذلك من خلال أعمالٍ تطوعية من قبل بعض

الفئات لتسهيل أمور اللاجئين الجدد، وكيفية تدبير احتياجاتهم الأولية، وفتح صفوف دراسية مثلاً بأدوات ووسائل بسيطة وبشكل تطوعي من قبل الأهالي.

عامل الأسرة النواتية أو الموسعة، ووجود إرث من التضامن والتعاضد، يشكّل عامل حمايةٍ من كل الظروف (عامل القضية)، وهي الفكرة التي يمكن أن تجتمع عليها الأسرة أو الجماعة كمقاومة النظام الظالم، يسهم هذا العامل في بلورة المجتمع المتكاتف ضد الظلم، والذي يشكل نوعاً من التكيف والمرونة.

عامل الغربة، والذي يحمل جانباً ايجابياً، وهو تقرّب فئات المجتمع المناطقية والطائفية من بعضها وفتح خطوطٍ من التآلف والامتزاج بين عادات هذه الفئات المختلفة، والتي تعمل على نوعٍ من المساندة، وإن كانت مبطّنةً بأهدافٍ بعيدة المدى.

إن تأثير الحرب على الصحة النفسية لها امتداداتٌ عبر الزمن وخاصةً المهجرين، بفعل تواصل التهديد الأمني والاجتماعي والاقتصادي والنفسي، وانعكاسها على الأهل، وبالتالي على جميع أفراد العائلة، ومن ضمنهم الأطفال الذين يُخلقون ولديهم استعدادٌ لتطوير اضطراباتٍ سلوكية نفسية، بالإضافة إلى التهديد الأمني الذي يعيشونه والذي يفجّر لديهم هذه الاستعدادات. ولتجنّب أكبر قدرٍ من النتائج السلبية توجّه معظمنا من متطوعين ومختصين للعمل على الحد من الأضرار، وذلك بالعمل مع الأسرة كخليةٍ فاعلة في جميع أفرادها، وكمنظمةٍ أولية قادرة على ضبط الأطفال، وتقديم قواعد نمو صحيحة فُقدت في ظل الأزمة، ومن ثم تقديم علاجٍ أسري يرصد الأبوين أولاً، والأسرة ككلّ ثانياً، وتكون هنا بداية العتبة الثانية وهي العلاج الجماعي لهذه الأسر التي تتعرض لظروف اللجوء والتهجير خاصةً في المخيمات، غير أنه وحتى اليوم لم يتم رصد مؤسسة أو منظمة تعمل على الملف النفسي الخاص بالحالة السورية، هناك بعض التجارب والمجموعات التي تعمل وفق جهودٍ شخصيةٍ عموماً ولا تستطيع على قلتها و فقر إمكانيتاها أن تغطي كثافة الكارثة المقبلة، وما أمسّ الحاجة إلى أن نوحّد أهداف هذه المجموعات في إطارٍ واحد ونوحد العمل في البحث عن حلول للخروج مما أسميناه سابقاً العتبة الأخيرة للحالة النفسية، لنخرج بحلولٍ تقارب الواقع حتى وإن لم تجاريه حقيقة.

من ذاكرة أبو محمود الطنبرجي
إهداء إلى (ناجي القمحي وجرنه المتعب)

النشوة

مأمون الجعبري

سأحملكم إلى حيث أخبئ الدفء في وجداني، إلى تلك الزوايا التي أضيء فيها شموعاً لاتنطفئ، إلى عالم الروائح الخاص الذي كثيراً ماأغمضت عيني وهمت بها ولهاً، علكم تشاطروني سُلافي، إنها اللحظات التي رأيت فيها الأرض ترقص طرباً فتندى عرقاً له رائحةٌ لا أروع، تغوص في مساماتي تحملني إلى فضاءاتٍ بلاحدود دون أن أخشى سقوطاً، إنها الصباحات التي عايشتها والأرض تستقبل المطرة الأولى فتنثر عطراً للتراب الأزلي المعتق، في تلك اللحظات الخالدة كثيراً ماخطر لي أن اقفز وأجري، ولكن خوفي أن يظن بي بعضهم أن مساً من الجنون تلبسني كان يكبت رغبتي الجامحة تلك، كنت أرى صدرها الحاني يرتشف غزل قطرات المطر بلا ارتواء، تشاركني شبقها فأتشمم عطرها إلى لحظات الخدر، فأكتب في حميم ذاكرتي يوماً لايغيب

وكم شعرت بأنني خائن حينما بدأت جنة عطرٍ أخر تحجز لسطوتها مكاناً يكاد أن يتماثل مع عطر الأرض، هذه الملكة الثانية كانت تفاجئني وباستمرار مع إنبلاج الفجر في لحظات أكون فيها هائماً في سحر الليل، وقد بدأ يفرش بساطه ليسند رأسه المثقل بأسرارنا على خيوط الضوء الأولى، فجأة تتسلل تلك الملكة وهي مدركةٌ أنها تملك سطوة سلطان النوم، وتداعب أنفي فينتفض معطياً أوامره التي لامرد لها، وتصبح الرائحة طريقاً أسلكه باستسلامٍ إلى أن أصل إلى تلك الكوة، فيخرج مني صوتٌ دافئٌ آتٍ من عمقٍ لا أدركه، «رغيفٌ من فضلك»، أحتضنه منقلاً إياه من جهةٍ إلى أخرى، هارباً من لذة حروقه، ملتهماً بخاره ورائحته قبلاً، نعم إنه عشقي الثاني من الروائح إنه من يجعلني أنحني بكل خشوعٍ حين أجد كسراتٍ منه تعانق الأرض فألتقطها، وأضمها وأضعها في طريق عاملاتٍ اجتهدن كي تجعلها حياةً لصغيراتها.

أنا منكم وأنتم مني، أحبتي السوريين نحن من نحمل عبق الأرض وعتق القمح، إننا نهيم بهذه الأقانيم قمحاً وطيناً وشمساً، وهي جذر الوجود واستمراره، ومن كان قبلته هذا الثالوث المقدس لن يهزم.

جمعية كفالة أيتام سوريا

جمال نجد

أسعد فلاحة مدير جمعية كفالة أيتام سوريا في الداخل: «نرحب بكم ونحييكم لاهتمامكم بهذه المؤسسة الإنسانية الخيرية الصغيرة الهامة التي تتطور شيئاً فشيئاً، حيث أنه لمجرد الاهتمام بها إعلامياً فهذا يزيد من عدد كفلاء أطفالنا الأيتام، وهو عملٌ خيري بحد ذاته تشكرون عليه.»

حول نشوء الجمعية ومصدر تمويلها وطبيعة عملها يقول السيد أسعد فلاحة مدير الجمعية: «بدأت الفكرة بنقاشات بين أبناء مدينتنا في إيطالي مع نشطاء داخل مدينة بنش، حيث إن هناك حاجة ملحة للقيام بمثل هذا العمل الخيري، فبسبب الأعمال العسكرية التي تشهدها سوريا واستشهاد خيرة رجال بلدنا وتيتّم أطفالهم كان لابد من التفكير بإقامة هذه الجمعية لتأمين حياة مقبولة لهؤلاء الأيتام، وخوفا عليهم من التشرد أو الانحراف فقمنا بشرح هذه الفكرة لأحد أبناء مدينتنا المغتربين في ايطاليا، وهو السيد مليح فلاحة، وقدم لنا فكرة إنشاء مؤسسةٍ ترعى هؤلاء الأطفال، وقام بتطبيق الفكرة وحوّلها فوراً إلى حيّز التنفيذ من خلال عمله لترخيص هذه الجمعية في إيطاليا، حيث يعتبر هناك مركزها الرئيسي ومصدر تمويلها، وقمت هنا في الداخل بالتعاون مع نشطاء من داخل مدينتنا، قمنا بكتابة النظام الداخلي لهذه الجمعية ونعمل حسبه، حيث إن هدف الجمعية الذي تسعى لتحقيقه هو كفالة أيتام الثورة السورية جميعاً.»

وحول عدد الأطفال الذين استطاعت الجمعية حتى الآن تأمين كفالتهم، وعن الجمعية وتطور أعمالها يضيف: «بدأنا بكفالة أربعةٍ وثلاثين طفل في كل من بنش وتفتناز وقرية طعوم، ثم انتقلنا لنغطي سرمين، وبعد أربعة أشهرٍ من انطلاقة الجمعية استطعنا تغطية أحد عشر قرية وبلدة وهي: (نيرب سرمين– قميناس– بنش– طعوم– تفتناز– آفس– الطلحية– معرة النعسان– زردنا– رام حمدان)، وأية زيادةٍ في عدد الكفلاء تحيلنا إلى التوسع فوراً، حيث لدينا الكثير من الاستمارات المعدة بشكل مسبق والمرسلة إلى مركز جمعيتنا في إيطاليا، لقد استطعنا كفالة ثلاث مائةٍ وأربعين طفلٍ إلى الآن ونحن نتوسع باستمرارٍ والحمد لله.»

كما وصف لنا السيد فلاحة آلية عمل الجمعية بقوله:

«نستطيع تقسيم آلية عمل الجمعية وفرق عملها إلى قسمين: قسمٌ خارج سوريا وقسم في الداخل.

بدأنا كفريقٍ في الداخل بجمع وإحصاء وتوثيق أسماء الشهداء على اختلاف طرق استشهادهم، بالتعاون مع بعض التنظيمات الثورية والمشفى الميداني في مدينتنا، وأيضا تم العمل بنفس الآلية في المدن والقرى المحيطة مثل طعوم وتفتناز وسرمين وكل القرى والبلدات التي نغطيها، حيث نقوم بتعبئةٍ استمارة خاصة بكل يتيم تتضمن معلومات عن الطفل وعائلته وصورة له و صورة جماعية لعائلته وعنوانه ورقم هاتف عائلته وأية معلوماتٍ تفيدنا في التواصل مع عائلته، حيث نقوم بارسالها إلى إيطاليا، وهنا يبدأ عمل فريق الجمعية في الخارج، حيث يقومون بتسويق هذه الاستمارة من خلال حملاتٍ إعلامية في المساجد والكنائس وعلى صفحة الجمعية الالكترونية، حيث يقوم العديد من الأشخاص من كل الجنسيات (إيطالي، أوربي، أو حتى عربي أو

سوري مغترب) بالتقدم لكفالة يتيمٍ أو أكثر، ويبدأ بالتحويل إلى حساب الجمعية البنكي مبلغ خمسين يورو لكل شهر أو ست مئة يورو سنوياً، وهنا تبدأ مهمة الفريق في الداخل من جديد، والتي تتمثل باستلام مبالغ الكفالات وإيصالها إلى منازل الأيتام، وتوثيق تسليمهم المبلغ من خلال الصور الفوتوغرافية، حيث نقوم بتصوير كلّ طفل مع مبلغ الكفالة ومعه لافتة مكتوب عليها اسم كفيله، ونقوم بإرسالها إلى الكفلاء، مما يزيد ثقتهم بالجمعية ويزيد من عدد الكفلاء بسبب ثقتهم بوصول المبلغ إلى مستحقيه.»

وقد لاحظنا أن فريق الجمعية يقوم بالذهاب إلى منازل الأيتام ومتابعتهم من هناك وليس العكس، إذ لا يضطر الأطفال هؤلاء إلى مراجعة الجمعية، ولدى سؤالنا عن السبب أجاب السيد أسعد فلاحة مدير الجمعية : «نقوم بذلك بسبب الظروف الأمنية، وخوفاً على حياة الناس، يقوم فريقنا بالذهاب إلى كل منزل وإيصال مبلغ الكفالة في المناطق التي تشهد قصفاً يومياً، مثل بنش وتفتناز وطعوم، أما في القرى التي تعتبر آمنة فإننا نقوم بتحديد يومٍ معين يأتي الجميع ويتم تسليمهم مبلغ الكفالة.

المبلغ المالي دوري كل شهر و ثابت ومن الممكن أن يكون هناك مساعدات أخرى غير دورية في بعض الأحيان مثل: ألبسة وألعاب وحليب للأطفال وقرطاسية..الخ ، كما قامت الجمعية بإقامة عدة حفلاتٍ في الأعياد والمناسبات ووزعت مبالغ مالية (عيديات)، بالإضافة إلى مبالغ الكفالة الأصلية ودعوات غداء وعشاء ومسابقات تكريم، وقمنا أيضا بإنشاء روضةٍ في مدينتنا بشكلٍ مبدئي، ونخطط لإنشاء عدة روضات في باقي المناطق التي نغطيها، ومعاهد تأهيل وتعليم لأهالي الأيتام.»

وفي زيارةٍ لعائلة أحد الشهداء قابلنا (أم أحمد من تفتناز) وسألناها عن جمعية كفالة اليتيم، فبدأت حديثها بالدعاء لهم، ثم قالت أنهم يقومون بتقديم مبلغ خمسين يورو شهرياً لطفلها الصغير، حيث يأتون إلى منزلها ويقومون بإيصال المبلغ، بالإضافة إلى علبة حليب أطفال، وتحدثت عن ملابس في بداية الشتاء وبطانيات ومساعدات أخرى متنوعة بين الفينة والأخرى وبعض الدعوات والحفلات التي تكرّم أبناء الشهداء.

وعن الصعوبات التي تواجهها الجمعية خاصةً وأنها تعمل تحت أسوأ الظروف الأمنية يقول مدير الجمعية:

«من أكثر الصعوبات التي نعاني منها نزوح بعض العائلات بسبب الأعمال العسكرية إلى مدنٍ وقرىً أكثر أمناً من مكان إقامتهم، ففي كثيرٍ من الأحيان لا نجد بعض العائلات، مما يضطرنا لإبقاء المبلغ في صندوق الجمعية، ونبدأ بالبحث عن عناوينهم الجديدة، ومن ثم إيصال المبلغ إليهم، وهذا يكلفنا الكثير من الوقت والجهد، بالإضافة إلى أخطار القصف، فقد تعرضت سيارةٌ كنا نستقلها لتوزيع الكفالات منذ يومين لشظايا قذيفةٍ سقطت بالقرب منها، كان من الممكن أن تودي بحياة أحدنا أو ربما جميعنا، نحن أيضاً في حاجةٍ لزيادة طاقم العمل من المتطوعين لتوزيع مبلغ الكفالات، حيث يزداد نشاط الجمعية ولم تتم زيادة طاقم العمل، وهذا يؤدي إلى إرهاق طاقم العمل، بالإضافة إلى معاناتنا في الاتصالات مع المناطق الأخرى، ومع مركز الجمعية في إيطاليا. أيضا من الصعوبات التي نعاني منها عدم وجود سيارةٍ خاصة بعملنا في توزيع الكفالات، إذ نضطر لاستئجار أو استعارة سيارةٍ لكي نتابع عملنا. على العموم هذه هي الصعوبات التي نحاول طوال الوقت تجاوزها أو التحايل عليها حتى ولو كان ذلك ببعض الجهود الفردية أو الشخصية، علماً بأن كادر الجمعية صغير ومتواضع فعدد المتطوعين في سوريا ست أعضاء، أما خارج سوريا فهم أربعة، ويعمل الجميع كمتطوعين، فنحن لا نتقاضى أيّ راتبٍ في سوريا ولا حتى في إيطاليا، فهدفنا من الجمعية خيريّ إنساني نقصد به تخفيف معاناة هؤلاء الأطفال.»

أخيراً وجه مدير الجمعية كلمةً فضّل أن يسميها أمنيةً، قال:

«فلنمسح دمعةً ونرسم بسمة على وجوه أطفالنا، أتمنى من كل من يطلع على هذه التجربة أن يقدم المساعدة التي يستطيعها، لكي نؤمن حياةً كريمةً لأبناءٍ من قدموا حياتهم رخيصةً في سبيل أن نعيش بكرامة، ويقول عليه الصلاة والسلام (أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين).»

جانب من فعاليات جمعية كفالة اليتيم

الأطفال السوريون اللاجئون وحيدون في أزمتهم

صورة المقال الأصلية

ترجمة غياث عبد العزيز

(سي إن إن)– قبل أن تحثه أسرته على الفرار بسبب الصراع في سوريا، وأثناء وجودهما سويةً في السيارة، شاهد فراس (١٧ عاماً) أخته وقد أصيبت برصاصةٍ في الرأس، أما ماهر (١٦ عاماً) فلم يتمكن من مشاهدة والده لمدةٍ تقارب السنتين، حيث اعتُقل وتعرّض للتعذيب قبل أن يطلَق سراحه.

هؤلاء الأطفال هم من بين عدة آلافٍ نجوا من القصف في بلدهم سوريا، وابتعدوا عن ذويهم، لكنهم الآن يواجهون متاعب يومية يواجهها اللاجئون السوريون في البلدان المجاورة كالأردن ولبنان. واليوم يتوجب عليهم أن يعيشوا حياةً جديدةً تختلف عن تلك التي تتضمن وسائل الراحة في منازلهم السابقة، وأيضاً العيش في أسرٍ ممزقةٍ غالباً ماتكون قد فقدت معيلها، وذلك وفقاً لتقريرٍ صدر يوم الجمعة عن وكالة اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ومفوضية شؤون اللاجئين. ووفقاً للوكالة فإن الكثير من الأطفال الذين عانوا من ويلات الحرب يعانون من ضغوطاتٍ ومشاكل نفسية، ومنهم من يعيش بمفرده بعيداً عن والديه، وآخرون حُرموا من التعليم أو تم تشغيلهم بعمالة الأطفال غير الشرعية.

«لقد دُمرت حياتنا»، تقول نادية (١٤ عاماً) وهي لاجئةٌ سورية وصلت حديثاً إلى الأردن بحسب التقرير. وتضيف نادية: «لقد حُرمنا من التعليم، ومن دون تعليم لن يكون هناك شيء. نحن نتجه إلى الدمار».

لقد دمرت الصراعات في سوريا حياة عددٍ لا يحصى من العائلات، وشردت مجتمعاتٍ بأكملها، وأدت إلى نزوح عددٍ كبيرٍ من السكان داخل سوريا بالإضافة إلى ٢،٢ مليون نازح في البلدان المجاورة.

الأطفال هم المتضررون بالدرجة الأولى:

في أول دراسةٍ لها متخصصةٍ بالأطفال السوريين اللاجئين، تحدثت مفوضية شؤون اللاجئين عن أولئك الذين يعيشون في لبنان والأردن، إلا أنه لا يمكن تجاهل الكثير ممن لجؤوا إلى بلدانٍ أخرى كالعراق وتركيا.

وقد أشار التقرير إلى أن أكثر من ٧٠٠٠٠ أسرة من اللاجئين السوريين يعيشون دون رب الأسرة، وأكثر من ٣٧٠٠ طفل سوري لاجئ قد فقد كلاً من والديه أو انفصل عنهما، وفي الكثير من الحالات لم يبتعد هؤلاء عن أهلهم فقط بل هم حتى الآن لا يملكون أدنى فكرة عن مكان تواجدهم.

وقد صرّح المفوض السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين (أنطونيو غوتيريس) في بيانٍ للمفوضية: «إذا لم نتمكن من فعل شيء، فإن جيلاً كاملاً من الأبرياء سيصبح ضحيةً لهذه الحرب المروعة».

أطفالٌ منعزلون ومعرضون للخطر:

يصور تقرير بعنوان: (مستقبل الأطفال السوريين الهاربين من الصراع) الحياة المؤلمة التي يعيشها الأطفال اللاجئون، وحالات العزلة والإقصاء وانعدام الأمن التي تُمارَس بحقهم، إضافةً إلى العديد من المتاعب النفسية والجسدية التي يتعرضون لها.

وتتحدث مفوضية شؤون اللاجئين عن أن أكثر من ألف طفلٍ سوري في مخيم الزعتري في الأردن قد تم علاجهم من إصابات الحرب خلال العام الماضي، بالإضافة إلى أن عدداً آخر منهم قد أعربوا عن رغبتهم بالعودة إلى سوريا للمشاركة في القتال.

وتضيف المفوضية أن عدداً من الناشطين قدموا تقاريراً تفيد بأن عدداً من الأطفال يجري تدريبهم على القتال في تحضيرهم للعودة إلى سوريا مجدداً.

وفي عدة مقابلات أجراها ناشطون نجد أن أكثر من ٢٩٪ من الأطفال الذين تركوا منازلهم يعيشون في شقةٍ مكتظة بالسكان، أو ملجأ أو خيمة، وفي كثيرٍ من الحالات تُرسل أسر اللاجئين أطفالها للعمل ليتمكنوا من العيش، وذلك بسبب عدم توفر دخلٍ ماليٍّ لهم.

وفي كلٍّ من الأردن ولبنان نجد العديد من الأطفال الذين لم يتموا السابعة من عمرهم يعملون لساعاتٍ طويلة مقابل أجورٍ ضئيلة، وأحيانا في ظروفٍ خطرة أواستغلالية، وتقول وكالة اللاجئين أن أكثر من ٦٨٠ محلاً صغيراً في مخيم الزعتري يقومون بتشغيل الأطفال لديهم.

ويقول عبدالله (١٣ عاماً) أنه يستيقظ يومياً في السابعة صباحاً ليقوم بشراء الخبز الجاف من بقية اللاجئين في المخيم ليتمكن من إعالة أسرته. حيث يقوم بعد ذلك ببيع الخبز إلى شخصٍ

أردني يستخدمه في إطعام حيواناته.
ويضيف عبدالله في شريطٍ مصور صادرٍ عن المفوضية: «إذا لم نعمل فكيف سنتمكن من العيش؟ أشعر بانني رجل عندما أعمل وأتمكن من توفير الطعام لعائلتي».
وبحسب المفوضية: في مثل هذه االظروف الصعبة فإن الكثير من الأطفال اللاجئين لن يتمكنوا من الدراسة، وأكثر من نصف هؤلاء موجودون في الأردن، ومن الممكن أن يصبح ٢٠٠٠٠٠ طفل سوري لاجئ في لبنان هم في سن الدراسة خارج المدارس مع نهاية العام.
يولد الكثير من الأطفال في بلدان اللجوء من دون الحصول على شهادة ميلاد، وتعد هذه الشهادة وثيقةً أساسيةً لإثبات جنسية الطفل.
وتقول المفوضية أن هناك أكثر من ١,١ مليون طفل من اللاجئين السوريين، معظمهم يعيشون في البلدان المجاورة.
وصرحت (أنجيلينا جولي) المبعوثة الخاصة للمفوضية، والتي عملت مراراً على تسليط الضوء على أزمة اللاجئين السورية: «على العالم ان يتحرك لإنقاذ جيلٍ كاملٍ من الأطفال السوريين الذين يعانون من العزلة والصدمات النفسية والأزمات الأخرى».
الجدير بالذكر أن الصراع في سوريا قد بدأ بعد أن قامت القوات الحكومية بقمع المتظاهرين السلميين مع بدء حركات الربيع العربي، ما أدّى إلى «حربٍ أهلية» شاملة في البلاد. وتقدر الأمم المتحدة أن أكثر من ١٠٠٠٠٠ شخص لقوا مصرعهم في هذه الحرب.

****

تقرير الأمم المتحدة بتاريخ ٢٩ تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٣
سي إن إن – ماري لويس جوموشيان

إطلاق سراح الرّاهبات السّوريات كان جزءاً من عملية تبادلٍ للرهائن

ترجمة نور مارتيني

بيروت– لبنان: تمَّ في صباح يوم الاثنين العاشر من آذار٢٠١٤ بثُّ مقطع فيديو لعملية تبادل أسرى غير اعتيادية، بين الحكومة السورية والمعارضة، الأمر الذي سيثبت صحة المقولة التي لطالما نفاها المسؤولون السوريون على ما يبدو، وهي أنّ الحكومة السورية تحتجز نساءً وأطفالاً كمعتقلين لديها، بينهم أقرباء لأشخاصٍ يشتبه بانتمائهم للمعارضة المسلّحة.
وقد تمَّ التقاط صورٍ في يوم الأحد وصباح يوم الاثنين من قِبل الناشط السوري المعارض «هادي العبد الله»، والتي على ما يبدو تُظهر عدداً من عناصر المعارضة المسلّحة، وهم يطلقون سراح مجموعةٍ من الراهبات، كانوا قد قاموا باحتجازهن لمدةٍ تزيد على الثلاثة أشهر، بمقابل مجموعةٍ من النساء وعددٍ من الأطفال يصل إلى اثنين على أقل تقدير، قام أحد مقاتلي المعارضة باحتضانهما، قائلاً بأنّهما يلوذان به.
ويظهر في الفيديو رجالٌ مرتدين ستراتٍ مضادةٍ للرصاص، وهم يحملون صبياً وفتاةً عند حاجزٍ محاطٍ بالأسلاك الشائكة، ويقومون بتسليمهم لمسلّحين ملثمين، والذي يصرخ بفرحٍ كمن تخلص من همٍّ جاثمٍ على صدره: «الله أكبر!»،

صورة المقال الأصلية

فيما ترتدي الراهبات زيّهن الأسود التقليدي، والابتسامات العريضة مرسومةٌ على وجوههن في الجهة الأخرى.
وحتى ليل يوم الاثنين، لم تكن وسائل الإعلام الرسمية السورية قد اعترفت بصفقة التبادل التي قد حصلت بالفعل، وأتت فقط على ذكر خبر إطلاق سراح الراهبات، كما أنّ بعض مؤيدي النظام يرفضون عمليات تفاوضٍ من هذا النوع، معتبرين أنّها تقدّم نوعاً من الدّعم للقتلة.
ولكن وفي سياق محادثاتٍ تمَّ التقاطها من خلال الفيديو جرت ما بين الراهبات والمسلحين، تمَّت مناقشة موضوع إطلاق ١٥٢ معتقلةً ضمن عملية تبادلٍ مع الراهبات، وهذه المعلومة لم يتمّ التثبت منها حتى اللحظة.
وبعد يومٍ من ردود الفعل المعادية من قبل مؤيدي النظام، الذين اشتكوا من أنّ الصفقة تجاهلت جنوداً سوريين ومواطنين عاديين تمَّ القبض عليهم من قبل المعارضة، أكّد وزير الإعلام السوري «عمران الزعبي» الخبر على التلفزيون الرسمي، نافياً صحة التقارير التي أشارت إلى أنّ الصفقة

تمّت بوساطة قطر، إحدى الدول الداعمة للمعارضة.

وقد أشار الزعبي إلى «أنّ العدد الحقيقي للمعتقلات اللواتي تمّ الإفراج عنهن في صفقة التبادل مع الراهبات هو ٢٥ فقط»، واستطرد قائلاً: «أيديهن ليست ملطخةً بالدّم السوري، ولكن لديهن صلاتٌ بشكلٍ أو بآخر مع الفصائل الإرهابية»، وقد ذكر بأنّ الصفقة حصلت «بدون وجود أيّ شكلٍ من أشكال التّواصل السوري- القطري على الإطلاق»، وأكّد على أنّ الحكومة كانت تعمل جاهدةً كي تطلق سراح الرهائن الموجودين في قبضة المعارضة في اللاذقية»، والتي تمثّل عقر دار مؤيدي النظام.

إنّ عملية التبادل بحد ذاتها تعدُّ عمليةً نادرةً، وإذا تمّ أخذ فشل المفاوضات في جنيف في إعطاء قوائم من قبل كلا الطرفين، يعترفان من خلالها أو يعطيان قوائم بأسماء الأشخاص المعتقلين لديهما بعين الاعتبار، فليس أقل من صفقة تبادلٍ واحدة يقوم بها الوسطاء الدوليون، والتي كانوا يعوّلون على أنّها قد تبني جسور ثقةٍ بين الطرفين.

ويظهر في الفيديو مقاتلٌ يُدعى «أبو عزام»، وهو قياديٌّ في «جبهة النصرة»، إحدى فصائل المعارضة التي تمّ وضعها على اللائحة السوداء في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يرحّب بأطفالٍ قال بأنّهم يلوذون به، وعيناه كانتا تلتمعان بالرغم من اللثام الذي لم يستطع أن يخفي ما كان من الواضح أنّه ابتسامةٌ عريضةٌ، فقد كان يعبث بشعر طفلٍ أزرق العينين، كان بدوره يبتسم ابتسامةً عريضةً، فيما كانت طفلة ترتدي قبعةً بيضاء مشغولةً بالخرز تندفع إلى أحضانه، ليضمّها بين يديه.

أثناء محادثات السلام في جنيف خلال شهري كانون الثاني وشباط، كان ممثلو النظام يشددون على أنّهم لا يحتجزون أي أطفال، وبدورهم قال المسؤولون إنّهم لا يمتلكون أيّة معلوماتٍ حول الملفات من النساء اللواتي تمّ تقديم لوائح من قبل المعارضة بأنّهن قد يكنّ معتقلات.

«أنا أنفي بالمطلق اعتقال أي طفل» هذا ما قاله نائب وزير الخارجية السوري فيصل المقداد، موضحاً بأنّها «مجرد شائعات».

فضلاً عن ذلك أظهر الفيديو الراهبات وآسريهن في السابق، وهم يتحادثون بارتياحٍ كبير، وتقاربٍ شديد، كما تظهر الراهبات وقد تمّ تزويدهن بسياراتٍ لتقلهن إلى لبنان، وهنّ يبتسمن، ويلوحن بأيديهن مودعاتٍ قائلاتٍ للشاب الذي يصوّر بالكاميرا: «الله يحميك».

كما أنّ إحداهن كان يبدو عليها التعب الشديد، فقام أحد الشبان الملثمين بحملها، ونسمع أيضاً في الفيديو صوت رجلٍ آخر يقول لإحدى الراهبات «بأن الله سيكافئ هؤلاء النساء بمقدار معاناتهن»، فتجيبه الراهبة: «فليكافئك الرَّبّ أنت وكل شخص ساهم في حل هذه المسألة»، مضيفةً: «يا رجل! إنّه الشهر الرابع!».

ولقد أثار الفيديو، وعملية التبادل بحد ذاتها ردود فعل الناس من كلا طرفي الصراع، فالأشخاص الممثلون للمعارضة اشتكوا من أنّ الراهبات حُزنَ على قدرٍ مبالغ فيه من الاهتمام، أكثر من أولئك الذين يعتقدون أنّ تعدادهم عشرات الآلاف على أقل تقدير ممّن هم معتقلون في سجون النظام.

فيما لجأ مؤيدو النظام إلى وسائل التواصل الاجتماعي ليدينوا الراهبات، واتهامهن بأنّهن خائناتٍ للأمانة لأنّهن لم يقمن بإدانة الخاطفين، وليتهموا الحكومة بتجاهل أسراهم، إذ أنّه قرابة ٢٠٠ طفلاً وامرأةً ينتمون إلى الأقليّة العلويّة ما يزالون رهن الاعتقال منذ شهورٍ إبان اختطافهم من قبل المعارضة في محافظة اللاذقية.

وكانت الراهبات، وتترأسهن الأم «بيلاجيا سياف» رئيسة الدّير التابع للروم الأورثوذوكس في معلولا، قد كرّرت، وحتى بعد وصولها بشكلٍ آمن إلى إحدى المناطق التي تسيطر عليها الحكومة السورية بشكلٍ كامل، بأنّهن لم يتعرضن لمعاملةٍ سيئة من قبل خاطفيهن «جبهة النصرة»، حيث قالت الأم بيلاجيا: «يجب أن أكون صريحة، لقد تمّت معاملتنا من قبل الجبهة بشكلٍ جيد جداً».

وبذلك تكون الراهبات قد فشلن في شقّ طريقٍ للنظام، الذي لطالما أكّد بدوره على المخاطر الحقيقية التي تتهدد المسيحيين من قبل المتطرفين والمعارضة المسلّحة، وبخاصةٍ «جبهة النصرة» حسبّما أفاد أحد المعلقين المؤيدين للنظام على الموضوع، عبر وسائل التّواصل الاجتماعي المرئي، بانفعالٍ شديد.

****

آن برنارد

نيويورك تايمز

في تذكر طلال نصر الدين، المسرح مرآة الزمن والناس..

علي سفر

المسرحي الراحل طلال نصر الدين

إذا جاز لنا وعلى سبيل اجتراح البلاغة أن نبحث في حيوات المبدعين عمن ستكون حياته مرآةً لعصره، فإننا نجزم أن الفنان المسرحي، يستحق وبجدارةٍ هذا التوصيف..!

جميع المبدعين يكونون بالتأكيد في لحظةٍ ما مساهمين في الإضاءة على التاريخ، من خلال تفاصيل حياتهم ومن خلال إبداعاتهم، ولكن للمبدع المسرحي ميزته الإضافية، فهو الوحيد الذي لا يمكن لمنجَزه الفني أن يكون مسجلاً في لحظة الصدام مع الجمهور، إن عمله هو اللحظة حيةً غير مؤطرةٍ أو معلبةٍ بالمعنى التقني والإجرائي، وبالتالي فإن الواقعة المسرحية، هي وقت اكتشاف الحاضر، كما هي في مرحلةٍ ما بوابةٌ لإكتشاف التاريخ، فإذا ما كان المسرحي مخلصاً لفنه فإن التنقيب في حياته إنما هو تنقيبٌ في التاريخ، إذ طالما شكلت التجربة المسرحية في نصوصها وفي عروضها وثيقةً لقراءة السياسي والاجتماعي وغيرهما وصولاً إلى تكرس المعرفي فيها..!

ومن هذا المنطلق فإن تجربة المسرحي السوري الراحل طلال نصر الدين، لم تكن تجربةً عابرةً ضمن السياق، فحياته كشخصٍ ارتبطت زمنياً بالتحولات الكبرى التي عاشها بلده، فقد ولد في عام ١٩٥٧، أي قبل عامٍ من قيام الوحدة بين سوريا ومصر، والتي تُعتبر بداية عهدٍ قاد البلاد إلى مراحل مختلفةٍ، مازالت تعيش في تبعاتها إلى يومنا هذا، وكذلك فإن رحيله في هذا العام، الذي يشهد نذر تحولٍ جديد قادم قد يطال كل شيء في سوريا، قد يكون إضافةً للرمزية التي تشكلها حياة المسرحي في توازيها مع الحدث السياسي والإجتماعي والثقافي..!

كان طلال نصر الدين واحداً من أوائل خريجي المعهد العالي للفنون المسرحية في دمشق، فقد تخرج في العام ١٩٨٠، في فترةٍ كانت سوريا تشهد فيها صراعاً دموياً بين السلطة البعثية وبين جماعات الإسلام السياسي، فإذا كان هذا الصراع قد حسمته إرادات الحديد والنار لصالح السلطة، فإن تبعات هذا النصر قد انعكست على الواقع الثقافي، غياباً للحريات، جعل جميع المبدعين وفي كافة الأنساق والأنواع الفنية أسرى لتحكّم المؤسسات البيروقراطية في حراكهم وعملهم ومنجزهم، وكان على طلال نصر الدين بالتالي وكغيره أن يكون خاضعاً لآليات العمل في المسرح القومي، التابع لمديرية المسرح والموسيقا، التي تتبع إدارياً لوزارة الثقافة، وهكذا ستمر سنواتٌ طويلةٌ يشارك فيها طلال في أعمال الموسم المسرحي السنوي، دون أن تشكل هذه المساهمة غير المرضية له وغير المتناسبة مع طاقته الإبداعية، إضافةً حقيقيةً على مسيرته، فالعمل المسرحي دون هواءٍ نظيف لا يعدو كونه تكراراً لجملةٍ واحدة، يقولها أحدٌ ما ثم تتالى الإعادات..! ولهذا كان عليه أن يذهب في اتجاهٍ مختلف، ضمن آليات الفعل المسرحي، فبدلاً من الإشتغال على النصوص الجاهزة التي صاغها الآخرون، كان على المبدع أن يكتب نصه الخاص الذي يتناسب مع تفاصيل المرحلة، ففي العام ١٩٩١ يشارك طلال نصر الدين في مسابقة التأليف المسرحي في جائزة سعاد الصباح الكويتية فيحصل نصه «نبوخذ نصر» على الجائزة الأولى للإبداع المسرحي، وعلى هامش صراعات الحقبة البابلية التي عالجها في نصه، يورد بين فصول المسرحية ترنيماتٍ من الشعر البابلي تقول إحداها: «في بابل يباد الواهن/ ويصرع الضعيف/ في بابل يرتفع شأن السفلة/ الذين سرعان مايصيرون مرموقين/ في بابل/ يطارَدُ الشرفاء/ والقضاء ينتصر للدجالين/ أما الضعفاء الذين لا حول لهم/ فيطاردهم كالوحوش/ بالغو الذروة» (نص نبوخذ نصر، ص ١١٢).

قدرة طلال نصر الدين على العمل التأليفي المسرحي وبالتوازي مع عمله التمثيلي على الخشبة، جعلته ينتقل إلى ضفاف التنشيط المسرحي، والإشتغال على الإخراج، فالمسألة هنا لا تتعلق بتملّك الأدوات فقط، بل بتملك الرؤية، وهذا ماغاب كثيراً عن الخشبات المسرحية السورية، فمن بين الكم الكبير من العروض المسرحية كان على الناقد والمتابع أن يتحرى عن التجارب التي تحمل الإضافات المرتقبة لمسيرة المسرح..!

وهكذا تقدّم طلال نصر الدين إلى جهة الإخراج المسرحي عبر عملٍ مسرحي حمل الكثير من التقاطعات بينه وبين الواقع الثقافي العربي، وهو نص «حلم العقل» للكاتب الإسباني بويرو باييخو، وفي هذا العرض الذي يحكي تفاصيل عن حياة الرسام الإسباني الكبير (جويا) في فترة الحرب الفرنسية الإسبانية، كان طلال نصر الدين يقدم رؤيةً لواقع المثقف الذي يتعرض لحصارٍ

مزدوجٍ من قبل القوى القامعة في مجتمعه، ومن قبل الجيش الذي يحتل بلده..، صورة جويا هنا والتي ينتهكها الدمار والقتل وسيل الدم، تتقاطع في الكثير من تفاصيلها مع الشجن الداخلي الذي عانى منه المثقف العربي في الكثير من البلدان العربية، فالمبدع الإسباني الذي أصيب بالصمم في أواخر حياته، كان قادراً على قراءة الشفاه وسماع أنّات الضحايا، وبالتالي كان قادراً على الحديث عن المأساة الإنسانية في ظل عالمٍ يُهان فيه الإنسان: « لماذا نعيش، كي نرسم هكذا؟ هذه الحيطان ترشح بالخوف، خوف أجل، لا يمكن أن يكون جيداً هذا الفن الذي يولد من الخوف!... من الذي ينتصر في هذه الرسوم، الشجاعة أم الخوف؟» (حلم العقل، ص ١١٨).

لا يمكن للعمل المسرحي أن يكون محض نزوةٍ إبداعية، هكذا فهم طلال نصر الدين معادلة الإبداع المسرحي، ولهذا كان يميل في كل ما حاول مقاربته مسرحياً إلى أن تكون كتابته مساهمةً في عملية التغيير الإجتماعي، ضمن فضاء أسئلةٍ كبرى، كانت ومازالت عالقةً في سماء العقل العربي، ولهذا فإن أهم ملامح تجربة طلال تتجلى في مسألتين مهمتين، الأولى وهي ما يتعلق بالشكل المسرحي، فقد كان غير مهتمٍ بالشكلنة، وغير شغوفٍ بالبحث عن ميزانسينات ومشهدياتٍ جاهزة، بل كان يكفيه استخدام الفضاء المسرحي بأبسط أدواته، مع القليل من العناصر البيئية كي يجهز فضاء الصراع الدرامي..، أما الثانية فقد تجلت في الإصرار على صناعة العمل المسرحي المرتبط وبشكلٍ لصيق بالواقع المحلي، طالما أن مشروع النهضة مازال قائماً لدى المثقف رغم إنهيار المنظومات الفكرية الكبرى الحاملة له..

ومن خلال هذين الملمحين يمكن لنا كمتابعين تفهّم التجربة المسرحية عبر نصوصها أو عبر عروضها، ولاسيما منها تجربته في مسرحية «عمر بن عبد العزيز» (قدمت في عام ٢٠٠٤) التي حاول فيها الغوص مرةً أخرى في التاريخ لإستخلاص الأمثولة التي توجب على سدنة الواقع الراهن الذهابَ إلى التغيير، وفي هذا يقول طلال مجيباً على سؤالٍ وُجّه إليه حول الدوافع التي تجعل المسرحي يذهب إلى تاريخ هذا الخليفة الأموي من أجل أن يقدم خطاباً راهناً :»إن المشروع الذي أراد إرساءه عمر بن عبد العزيز هو نفسه الذي نبحث عنه الآن، كان يريد القضاء على المظالم وهذه مشكلة كل زمانٍ ومكان، كان يريد سيادة النظم القائمة على جميع الناس، ومازلنا حتى الآن ننادي بسيادة القانون، ثمة إشكاليةٌ عميقةٌ مابين مفهوم الحق وفعالية السلطة، وهذا هو الموضوع الذي كنت أود طرحه على المسرح. ربما هو موضوعٌ لا نبحثه كثيراً مسرحياً لأنه يقترب من الفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ». (من حوار منشور في جريدة تشرين، بتاريخ ٢٠٠٤/٠٦/٢٧، أجراه الكاتب مصطفى علوش).

ومن بين تجارب المسرحيّ الراحل في الكتابة والإخراج، يتوقف المتابعون عند نصه «ديك المزابل»، الذي أصدره في عام ٢٠٠١، والذي تم تداوله في عددٍ من العروض المسرحية المحلية والعربية والعالمية، والذي كتبه بلغةٍ حياتيةٍ راهنة، ويحكي عن قاع المدينة تفاصيلَ تجري أحداثها في مقلب قمامة (مزبلة) أبطالها هما عجوزٌ متشرد، وشاب يعيش تناقضاتٍ مجتمعية تقوده إلى محاولة الإنتحار..!

كثيرةٌ هي العوامل التي تجبر المبدع المسرحي على الإنكفاء والعزلة، ولكن طلال نصر الدين، كان ورغم كل ما عاناه ضمن سياق إشكاليات المثقف العربي في مجتمعه يرفض الإستسلام لهذه الظروف، فقد كان يعمل في عدة مساراتٍ كي يحافظ على صوته خاصاً، وعلى خطابه حراً، ولهذا فإنه كان يستعير من الأنواع الفنية الأخرى أدواته، فكتب في السيناريو التلفزيوني الدرامي، وفي السيناريو الوثائقي، وفي الشعر، وفي الرواية، وأذكر أنه في أخر حواراتنا الشخصية قد حدثني عن مشروع فيلمٍ روائي يروي بعضاً من حكايا أطفال الشوارع، وأظن أن الظروفَ التي تلت إكتشاف إصابته بالمرض قد عطلت مشاريع كثيرةً كان قد خطط لها..

طلال نصر الدين ترك بصمته الخاصة، في صناعة نموذج المسرحي الملتصق بقضايا مجتمعه، رغم محاولات التغييب العديدة التي تحيق بالفن المسرحي السوري والعربي على العموم، لتجعله مجردَ عروضٍ شكلانية، يحضر فيها كل شيء ويغيب عنها كلٌّ من الرؤية والخطاب المجتمعي..

بطاقة تعريف

– الممثل والمخرج والكاتب الرحل طلال نصر الدين من مواليد عام ١٩٥٧، تخرج من المعهد العالي للفنون المسرحية سنة ١٩٨٠، وعمل في المسرح القومي في سوريا منذ تخرجه وحتى إصابته بالمرض الخبيث قبل عامين، حاز على الجائزة الأولى للإبداع الأدبي في القاهرة عن نصه المسرحي «نبوخذ نصر» عام ١٩٩١. كما حاز على الجائزة الثالثة للسيناريو لمنظمة اليونيسكو ووزارة الإعلام في سوريا عن سيناريو فيلم «ليلة قاسية جداً» عام ٢٠٠٢. وحازت مسرحيته «الديك» على جائزة التمثيل الأولى في مهرجان عمان عام ٢٠٠٣، وعلى نفس الجائزة في مهرجان زيمين إيران عام ٢٠٠٤، كما حاز على الجائزة الثانية للهيئة العربية للمسرح عن نصه «الرجل الذي تحول إلى تشيخوف» عام ٢٠١٠.

أخرج للمسرح:

–حلم العقل، تأليف: أنطونيو بويرو باييخو، ١٩٩٠.

–احتمالات، بالاشتراك مع المخرج الدانماركي بينس أوغست فيليه، تأليف هوارد باركر ١٩٩٧. بالتشارك مابين المسرح القومي في سوريا والرويال ثياتر في الدانمارك.

–الديك، تأليف: طلال نصر الدين، ١٩٩٨.

–موت عابر، تأليف: طلال نصر الدين ٢٠٠٤.

–ملك الخواء، تأليف: طلال نصر الدين ٢٠٠٦.

كتب للمسرح :

–نبوخذ نصر، وأخرجت للمسرح القومي ١٩٩٧.

–دم شرقي، أخرجت للمسرح القومي ١٩٩٤ ثم مثلت في الدانمارك وهولندا والسويد عامي ٢٠٠٦/٢٠٠٧. و في الدار البيضاء مهرجان مراكش في الشهر الخامس ٢٠٠٨.

–موت عابر.

–عمر بن عبد العزيز.

–ملك الخواء.

–الديك.

–التحليقة الأخيرة للطائر الحر.

–قرن العار.

كما صدر له ديوانا شعر هما:

أناشيد على قدم الموت.

اتساعية الحضور.

رحل عن عالمنا إثر صراع طويل مع المرض، بتاريخ ٢٠١٢/٦/٢٥.

عرض «روميو وجوليت» السوري ينتصر فيه الموت على الحب والحياة

طلال الهادي

قدمت مديرية المسارح والموسيقا في وزارة الثقافة السورية ضمن موسمها المسرحي للعام ٢٠١٤، مسرحية «عن الحرب وأشياء أخرى»، عن نص مسرحية روميو وجولييت للكاتب المسرحي وليام شكسبير، كتب النص زيد الظريف وأخرجه عروة العربي، وشارك فيه الممثلون «بسام نصر\ القس لورنس، وسيم قزق\ روميو، كرم الشعراني\ مركوشيو\ المربية، يزن الخليل\ تابيلت، جيانا عنيد\ جولييت، روبين عيسى\ أم جولييت»، بالإضافة إلى الفرقة الموسيقية «باسيليوس عواد\ تشيلو، يزن صباغ\ كلارينيت، كنان الزبيدي\ فيولا، حسن عطفة\ صوت بشري، لونا محمد\ صوت بشري»، والراقصون «محمد شباط، رواد زهر الدين، أحمد جودة، محمد كمحة، موفق الدعبل، مها الأطرش، سجى الأغا، يارا حاصباني، ياسمين نجار، مروة العيد».

من العرض المسرحي (عن الحب وأشياء أخرى)

النص والبناء الدرامي:

يعتمد البناء الدرامي لمسرحية روميو وجولييت على مبدأ الاستمرارية، إذا أن منظراً يقود منظراً، وفصلاً يقود فصلاً حتى الخاتمة، والعائلتين الأرستقراطيتين أسرة «مونتاغو» التي ينتمي إليها روميو، وأسرة آل «كابوليت» التي تنتمي إليها جوليت، استحكم العداء بينهما كثيراً، ويقع روميو في حب جولييت في المشهد الثاني من خلال الاحتفاء بالحياة، ويبعد البناء الدرامي روميو عن جولييت مدةً طويلةً نسبياً في النص والعرض المسرحي، لكن جولييت تتحول من الفتاة الصغيرة، الحمل الوديع التابعة لأهلها إلى مدافعةٍ شرسة عن الحب حيث تقول في المشهد الثاني:»هلم يا ليل المحبين في ردائك الأسود الغامر، لتعلمني كيف أخرج من خلوتي وأغادر حيائي وانزوائي في أول لقاء بين عاشقين بريئين جمعهما القران في شراكة واحدة»، ثم تؤسس عليه بصيحةٍ صادحة: «هلمي إلى فراش عرسي ومهاد زفافي لكي أُزفَّ إلى الموت مادام (روميو) عني مقصياً».

هنا تغادر جولييت الوادعة لتصبح شجاعة، وهذا ما ينعكس على خيارات روميو حيث يتصدى بشجاعةٍ –بعد أن عقد قرانه عليها، وأصبحت زوجته– لابن عمها تابيلت الذي قتل مركوشيو في مبارزة، فيقتله روميو في مبارزةٍ أيضاً، وتتعمق العداوة حيث يصبح روميو مطلوباً لعائلة آل كابوليت، ويساعده في الهرب القس لورنس، الذي يقع في حيرة شديدة عندما تطلب منه جوليت الهرب إلى زوجها، وهنا تدخل واقعة استخدام السم المؤقت من قبل القس لتنام جوليت ٤٨ ساعة، لكن روميو يعود إلى المقبرة، ليجدها في غفوة الموت المؤقت، فينتحر، لتصحو وتجد زوجها قد فارق الحياة بوجود القس الذي يحمل ذاته موت روميو في منولوج، وتنتحر جولييت لتلحق بزوجها.

مقاربة الواقع السوري:

تأتي هذه المقاربة من خلال سينوغرافيا العرض المسرحي التي تعتمد على الدمار الشديد الموجود على منصة مسرح الحمراء بدمشق، والذي جعل منه المخرج خلفيةً للأحداث الجارية في سوريا، ويجعل من الأداء التمثيلي على منصة هذا الدمار، عبر شارعٍ عريض أمام هذه الأبنية المدمرة، ويتسق معه شارعٌ موازي، لكن إلى تحته قليلاً ليشكل مستوى اللعب الثاني، وكذلك شارع ثالث لمستوى أداء آخر، حتى نصل إلى منصة خشبة مسرح الحمراء. إن لعب الممثلين على هذه المستويات يوحي بالصراع الدائر في سوريا، ويعمّق الكاتب والمخرج صلة العرض بالواقع من خلال غياب مسؤولة الأزياء في العرض «الخياطة سحر»، التي تنقطع كل الاتصالات معها قبل العرض وأثناءه، ليخرق المخرج عروة العربي قاعدة الأزياء الشكسبيرية، وليؤدي الممثل دور «روميو» في زي الجينز وقميص عصري، وذلك في توجيهٍ واضحٍ من المخرج، وهكذا يستمر الممثل قزق في أداء روميو في زيٍّ عصري، ويعتذر من المخرج والممثلين لعدم حضوره على موعد العرض بسبب الحواجز وتأخّر باص «هرشو» الذي ينقله من زيارته لأهله إلى مدينة دمشق، فيصل إلى مسرح الحمراء متأخراً.

وفي نهاية العرض يختتم المخرج العربي بالأداء الصوتي من غرفة الكونترول، بأنه نجح في الاتصال بأهل الخياطة سحر، لكنها فارقت الحياة نتيجة قذيفةٍ سقطت على بيت أهلها، وهم بخير رغم ذلك. وهكذا يحضر الواقع السوري من خلال الإشارة إلى هذا الواقع الغرائبي الذي يعيشه الإنسان السوري في العاصمة دمشق ومحيطها القريب.

الإخراج والأداء:

نجح المخرج عروة العربي، وبحسب العرض، في رسم صورة الواقع السوري من خلال الصراع الموجود في مسرحية روميو وجوليت، ليتحول الصراع العائلي إلى مساحة الوطن السوري الذي ينقسم أبناؤه بين سلطةٍ وإلى جانبها فئاتٌ اجتماعية، ومعارضةٍ أيضاً عسكرية وسياسية وإلى جانبها فئاتٌ اجتماعية أخرى، وساهم الممثلين بطريقة غير مباشرة في عكس هذا

الصراع من خلال مفهومي»الحب، والكراهية» و»الموت، والحياة»، فالموت ينتصر على الحياة والحب والأمل، على عكس النص المسرحي الشكسبيري ولا يعقد صلحاً في النص المسرحي المقدم على مسرح الحمراء بدمشق.

استطاع فريق الممثلين عكس روحية هذا الأداء، الذي أوصل الحب إلى حالةٍ واضحة بين روميو وجولييت، لكن الصراع يزحف ليقضي على أربع شخصياتٍ وهم «روميو، جوليت، تابيلت، مركوشيو». ولعب الفنان بسام ناصر دوراً كبير في عكس حالات حب الحياة والدفاع عنها، لكن مسار الشخصية تؤدي لقتل بلسم الحياة والحب في المسرحية عبر الثنائي روميو وجوليت.

وظهر الممثل»كرم الشعراني» في دور المربية بصيغته الإنسانية. بينما لعبت الأصوات البشرية في نقل الحالات الجنائزية والكربلائية في العرض، وزاد من تعميق حالات الأداء الجماعي للراقصين في العرض، كما حضرت الموسيقى المعبرة عن هذه الحالات، ومرت لحظات الحب والفرح قليلةً غير مؤثرةٍ في ملامح العرض.

أخيراً، إن عرض «عن الحرب وأشياء أخرى» يقدم صورةً من الواقع السوري، معتمداً عن نصٍ شكسبيريٍّ كلاسيكي، قادرٍ على بث سوداوية القضية السورية الراهنة.

الفراشة تُدلي بأقوالها

وائل زكي زيدان

في ديوانها «قالت الفراشة» (دار رياض الريّس) تستخدم الشاعرة السورية هالة محمد، الفراشة كرمزٍ حيٍّ وجماليّ ينافس الدبابة الضخمة ذات اللون الواحد، ليس على الوجود فقط،، بل على استرداد أكبر مساحةٍ من المشهد المهدد بالسرقة.

/الدّبابة /في حديقه البيت /تلاحق الفراشة: الشاهد /كي لا تشفّ /كي لا تبثّ /المجزرة /

وبموازاة ذلك تعمَد الشاعرة إلى انتشال عناصر المأساة السورية من الموت ومن استمارات الإحصاء، ليصبحوا هم عناصرها الشعرية والبلاغية، وحتى ما هو ذاتيٌّ ووجداني في ثنايا الديوان، لن يتوقف عن كونه تتمّةً وتكملةً لما هو عام، /كم تعبوا ليختلفوا /وأنا أتبعهم / لأشبههم /

عبر ٧٦ مقطعاً، مُضافاً إليها خمس قصائد مُهداة للأمهات الشهداء، تمتنع هالة محمد عن تسجيل أسماء الجُناة. إنهم فقط /دبابة /رصاص حي / طغاة /قاتل/ بينما الضحايا هم /حمزة الخطيب / هاجر الخطيب /زينب الحصني/ابراهيم القاشوش /مشعل التمو/، وهذه الطرح الأمومي يكرّس بشكلٍ غير مباشر الثقة بما هو إنساني، بلغةٍ سقطت منها نبرة الحقد والانتقام /القاتلُ الأميّ /يُلقّنُ ابنهُ الحَبيب/درسَ التلوينِ/بالأحمر /في دَفْترِ الرَّسم /.

في هذا المونولوج الشعري المتقن، يغيب ذلك الهاجس بالتفتيش عن تراكيب لغويةٍ معقّدة والدخول في متاهة اللفظ والإيحاء، لأن المناسبة هي —الحرب—، وفي الحرب تتجزأ الأشياء وتنفرط، لتعود مرّةً أخرى وتتراكب بطريقةٍ لم تألفها العين البشرية، حيث يمتزج الذاتي بالموضوعي، ويتدفّق احساسان متناقضان في ذات العَصَب، وترى الدنيا مقلوبةً رأساً على عقب، ومرتّبة مثل ترتيب الشعر. الفراشة والدبابة تقفان على سطرٍ واحد، فيما أم الضحية وأم القاتل موجودتان على ذات الصفحة، حين تتساءل أم الشهيد غياث مطر /أم القاتل، هل عرفت حين رأت صورتكَ / في نشرات الأخبار /أنكَ أنت! /حين غسلت غبار ابنها.../دمكَ الطاهر عن بوطهِ الرياضي الأبيض.../هل نقط دمك من عرق جبينها/ شمّت رائحة موتك.../وعرفت/ هي أم./

سيكون الموت حاضراً لكن ليس بكونه بطلاً له الكلمة الفصل في الخواتم والنهايات، كفكرةٍ مكررة في جميع الشعر القديم، وهو أيضاً ليس بذلك العاجز والمضحك كما في قصيدةٍ مهمّة «عن الموت بلا مبالغة» لفيسوافا شيمبرسكا. بل ستأخذنا هالة محمد إلى زاوية جديدة وتصدمنا حين تطالب بالموت الطبيعي، رفيق الإنسان منذ البدء، كردٍ على الموت القطيعي والمجاني، /نُريدُ موتنا /موتُ المواطنِ فرداً فرداً /من سرقَ موتنا من تحتِ مخدّاتنا /من تحتِ أقدامنا /من سرقَ الموت /من سرق الموت من المستشفيات/من حوادث السّير/من الشيخوخة /من الصّدفةِ/. وسيشي الديوان بشكلٍ آخر من أشكال الموت والإلغاء، حين تجرّد إنساناً من حقّه بالجغرافيا وتطلق عليه اسم لاجئ، في حواريةٍ أرادتها الشاعرة أن تخرج من كون أن اللاجئ حصراً هو سوري، بل أن كل إنسانٍ من المحتمل أن يكون لاجئاً، لأن الجمهور هو العالم برمّتهِ/قالت الفراشة: كم عمرك /قالت اللاجئة: /مِتُّ من سَبعة أيامٍ/.

في ١٥٠ صفحة تنجح النصوص باحتضان الوجع

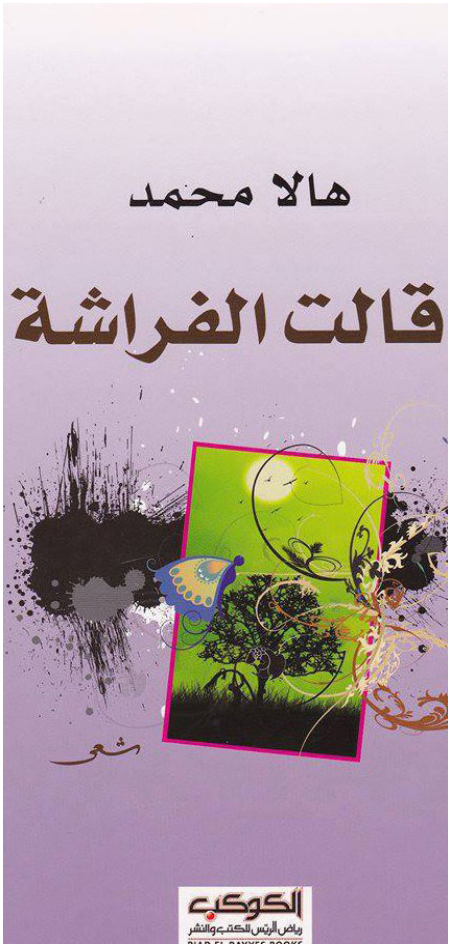

السوري، لتقطع الطريق أمام وحش النسيان، فكم من الجرائم التي طُمست معالمها عبر التاريخ، فلا كاميرا الجوّال ذات الدقّة المنخفضة ولا الخبر البارد، سينجح بتصوير ومحاكات العوالم الداخلية المضطرمة في أعماق الضحايا كما ستفعل فراشة الشعر.../أيتها الحرية /تعرفينَ شعوبَ الأرض / أتقدم إليك بطلب الإنتساب /من بوابة التاريخ الفسيحة/ اقبلينا/ابحثي عنا /نحن في أرشيفك القديم /منذ سالف الزمان والمكان /أجدادي سجلوا اسم بلادي في ملفاتكِ/.

في فيلم الملك لا يموت: الأفكار تطغى على الأداء

عارف حمزة

بدأت عجلة جديدة تدور في السينما السورية منذ ثلاث سنوات تقريباً، عندما بدأ النظام الوحشيَ يستخدم مختلف أنواع الأسلحة، للبطش بالتظاهرات السلميّة التي طالبت بالحرّية ورحيل نظام بشّار الأسد، حتى وصلت إلى درجة محو مناطق بكاملها عن وجه الأرض. حيث أصبحت أيّة لقطة تصوير للحظة رمي برميلٍ مليء بالمتفجرات، من طائرةٍ مروحيّة، على مناطق سكنيّة، وتصوير أعمدة الدخان والنار، والهلع في وجوه الناجين النادرين، عبارةً عن وثيقةٍ بصريّة يمكن الاشتغال عليها في الأفلام الوثائقيّة. وهناك لقطاتٌ حِرفيّة يمكن اعتبارها فيلماً وثائقيّاً بسهولة.

لقد صارت هناك عشرات الآلاف من الوثائق البصريّة المؤلمة تلك في مكتبة العروض الحيّة في موقع «يوتيوب»، ومواقع المعارضة السوريّة والشبكات الإخباريّة، حيث بات بإمكان الكثيرين استقاء أفكار سينمائيّة قد تعبّر، ولو بجزءٍ يسير، عن الأهوال التي يعيشها الشعب السوريّ في كلّ لحظة.

الشبّان السينمائيّون الجدد لم يتأخّروا في دخول مغامرة تصوير وشرح آلام الشعب السوريّ، ونقلها إلى ضمائر الناس، في طريقهم لفتح أفقٍ جديد، وموجةٍ جديدة للسينما السوريّة، التي وصلت من خلالها مؤخراً إلى العالميّة؛ بفضل فوز فيلم «العودة إلى حمص» للمخرج طلال ديركي بالجائزة الكبرى للأفلام التسجيليّة في مهرجان صندانس السينمائيّ العالمي في أمريكا، وكذلك فوز فيلم «الله والكلاب» بالجائزة الكبرى للجنة التحكيم لذات المهرجان في مسابقة الأفلام الوثائقيّة التسجيليّة القصيرة.

من داخل هذه الموجة يُطل فيلم «الملك لا يموت» للمخرج يامن منذر المغربي، وهو فيلمٌ مأخوذ عن فكرة صغيرة حقيقيّة كتبها المعارض السوريّ ميشيل كيلو عن حادثة جرت معه في المعتقل.

الفيلم، الذي مدّته ثماني دقائق، يتم تصويره داخل معتقل، حيث يسأل المعتقل (قام بدوره نور علاء حور) من الضابط السجّان (بسّام قطيفان) عن الأوراق والقلم الذي طلبها منه، منذ زمن توطّد علاقتهما واللعب بالشطرنج معاً في الزنزانة الانفراديّة.

في اللحظة التي يطلب فيها المعتقل طلبه المكرّر يقول للسجّان وهما يلعبان الشطرنج: «انتبه. الملك كش». أي أنّ ملكه قد يموت وتنتهي اللعبة.

السجّان يقول للمعتقل بأنّه سيجلب له ما يطلب ولكن بشرط أن يحكي حكايةً لشخص معيّن. المعتقل يفرح لسهولة الشرط لأنّ مهنته كاتب، وسرد الحكايات هي عمله. ويفرح أكثر لأنّه سيحصل أخيراً على الأوراق والقلم مقابل رهانٍ بسيط وفق إمكانيّاته وحساباته، خاصّة إذا عرفنا أن السجناء السياسيّين كانوا ممنوعين من الحصول على تلك الأشياء البسيطة تحت طائلة العقوبات الشديدة.

سيأخذ السجّانُ المعتقلَ إلى زنزانةٍ أخرى يوجد فيها فتاةٌ شابة (كريستينا غزال شلهوب)، وطفلٌ في الرابعة من عمره تقريباً (قام بدوره جوزيف شلهوب). ويطلب السجّان من المعتقل أن يحكي قصّةً للطفل، وإذا نجح في ذلك سيعطيه ما يريد من أوراقٍ وأقلام، ثمّ يغلق عليهم باب الزنزانة، ناظراً إليهم من الفتحة الموجودة في الباب الحديديّ للزنزانة.

الفتاة والطفل شعرا بالرعب لوجود المعتقل الغريب معهم، ولكنّ المعتقل طمأنهما بأنّه لن يؤذيهما؛ بل فقط سيقول للطفل حكاية وسيذهب من جديد، وطلب من الطفل أن يجلس في حضنه وبدأ بقصّ الحكاية: «كان في عصفور..»، فسأله الطفل مباشرة: «شو يعني عصفور؟»، فشرح له المعتقل بوصف بسيط بأنّه طائرٌ له جناحان ويطير في السماء. فسأله الطفل: «شو يعني جناحان؟ شو يعني سماء؟؟» فنظر المعتقل مستفسراً إلى الفتاة الشابة. قالت الفتاة: «هذا ابني. ولدته (أنجبته) هنا. وهو لا يعرف شيئاً!!». المعتقل سيخرج خاسراً من تلك اللعبة وذلك الرهان الوحشيّ. من لعبة القصّة البسيطة التي لم يعرف كيف يكملها. وعند باب الزنزانة سيتلقّى نظرة الشماتة من ذلك الضابط السجّان. سيمشي باتجاه باب زنانته ليغلقها على نفسه من جديد.

في تلك اللحظات سيقف الطفل «زياد» في باب الزنزانة، التي ما زالت مفتوحة، ويطلب من السجان رؤية الأشياء التي سمع عنها: «بدي عصفور». ويرد عليه الضابط: «فوت لجوا»، «بدي شوف السما» يقول الطفل، فيرد السجّان: «بقللك فوت لجوا»، «بدي السما»، يكرر الطفل برجاء. «مافي عصافير.. مافي سما». يصرخ السجّان في وجه الطفل المتسائل، ثمّ يغلق

الباب في وجه الطفل البريء، ويصرخ بصوتٍ عالٍ كي يسمع المعتقل: «وإنت يا مثقف. بدي تفهم منيح، إنو مافي شي اسمو كش ملك.. الملك ما بيموت.. الملك ما بيموت..». يسمع المعتقل ذلك الصراخ والوعيد من الضابط فيضرب الملك الأسود على رقعة الشطرنج داخل زنزانته، دلالة موت الملك ولو في قرارة نفسه.

تبدو الفكرة صارخةً هنا وطاغيةً على كلّ تفاصيل الفيلم؛ وهو شيءٌ منطقي إلى حدٍّ ما، طالما أنّ الفيلم أصلاً مشغولٌ من أجل هذه الفكرة، الفكرة التي تفضح الوحشيّة، سواءٌ ضد المعتقل نفسه بسبب أفكاره وآرائه، أو تجاهَ الأمّ الصغيرة وطفلها البريء الذي ينفّذ معها عقوبة السجن بسبب «جريمة أمّه»، وكذلك تفضّح لذّة السجّان في تعريف الآخرين على إبداعاته وأساليبه الوحشيّة، كأنّ إبداع الوحشيّة هنا يُحاول أن يعادل إبداع الكاتب ضد الوحشيّة أو الظلم أو الاضطهاد.

أداء الممثّلين كان عاديّاً، وخاصّة أداء الطفل الذي يبدو وكأنّه لم يتم تدريبه بشكلٍ محترف، أداءٌ عاديّ ولا يذهب نحو الإبداع، وكانت الموسيقى التصويريّة تحاول إخفاء هذا «العادي» في أداء الممثّلين، كأنّ الممثلين كانوا مضغوطين، مثل الجمهور الذي سيرى الفيلم، بتلك الفكرة الكبيرة المبدعة والمخيفة عن الظلم والاستبداد.

على الرغم من الرعب والألم الذي صنعه الفيلم للمشاهد، إلا أنّه كان بالإمكان صنع مشهديّةٍ سينمائيّةٍ أفضل بكثير من الذي تمّ عرضه، كفيلمٍ صادم وجديد عن وحشيّة النظام المتجدّدة.

رداً على مقالة «ثورة وبروليتاريا وشيوعيون».. حدثٌ، ويسارٌ أوديبيّ

محمد الجرف

نشرت مجلتكم في عددها الماضي مقالاً جميلاً للأستاذ مصطفى الجرف بعنوان «ثورة وبروليتاريا وشيوعيون»، وطالما أنّ المقال—فيما عدا آخر فقرة– هو عبارةٌ عن شبه سردٍ ذاتيّ لاعترافات يساريّ سابق، لا يُنتج معرفةً (على اعتبار أنّه يقف على مُعرَّفٍ لا أكثر)، فإنني سُعدتُ كثيراً بقلمٍ مُمْتع ينتقل برشاقةٍ منْ فكرةٍ لأخرى، وهذه موهبة فذّة يتمتّع بها مصطفى، كان هذا الحراك النّبيل فرصةً لإظهارها.

المشكلة تبدأ حين يُقرّر مصطفى حقيقةً دون نقاشٍ كافٍ من مثل أنّ: «معنى اليسار الشّيوعيّ في سوريّة تحديداً هو يسار النّظام السّوري، أيْ تماماً في المنطقة الأقصى بعداً عن مناطق الحشود الشّعبيّة التقليديّة!»

ليس غريباً أنني عايشتُ المراحل كافة التي تكلّم عنها مصطفى في عُجالته السّابقة، فأنا وإياه ننتمي –تقريباً– إلى ذات الفترات: البحث عن إيديولوجيّةٍ خلاصيّة، وانهيار تلك الأيديولوجيّة، ثمّ انبعاث الحلم السّوري الكبير في آذار الـ ٢٠١١، لكننا لا نصل دائماً إلى نفس الاستنتاجات.

لا أظننا نختلف كثيراً في تعريف البروليتاريا، أو في تعريف اليسار، ومن ضمنه طبعاً «اليسار الشيوعيّ في سوريّة»، وحتّى وإن حدث واختلفنا فالمعاجم والموسوعات والويكيبيديا تستطيع أنْ تكونَ –على ما أظنّ– حكماً جيداً، ومقبولاً فيما بيننا.

الخلاف الحقيقيّ هو في أمرين، غالباً ما يسْلكهما مصطفى طريقاً له: الانطلاق من كليّات يفترضها بديهيّة، والوصول منْ ثمّ إلى تعميماتٍ عامة، إذْ أنني أعتبر أنّ كلّ تعميم هو خطل، خصوصاً إذا تمّ إخضاع الجماعات لمنطق التّعميم ذاك.

لم يكنْ اليسار، ومن ضمنه «اليسار الشّيوعيّ في سورية»، في طليعة الجموع الغفيرة التي ملأت الشّوارع والسّاحات في المدن والبلدات والقرى في طول البلاد وعرضها، ولكن أيضاً لم يكن اليمين هناك، ومن ضمنه اليمين الإسلاميّ في سوريّة. من استطاع اللحاق بالجماهير وتنسيق حراكها هم شباب وصبايا التّنسيقيات، وهم في معظمهم معتقلون سابقون من بقايا اليسار الشّيوعيّ في سورية، والذي وضعه مصطفى في المنطقة القصوى النّائيّة عن مناطق الحشود الشّعبيّة التّقليديّة! (إشارة التّعجب هذه ليست لي، بل وضعها مصطفى في نهاية مقالته)، ويكاد يكون من المتفق عليه بين المتابعين أنّ اعتقال وتغييب الجيلين الأولين من قادة التّنسيقيات هو من الأسباب الرّئيسة لما يعتبره البعض وهناً أصاب الحراك في مقتل، أو كادْ. بل إنني سأضيف معلومةً ذكرها الأستاذ حسّان عبّاس في إحدى دراساته عن أنّ قادة التّظاهرات –التي تحولت حقاً إلى ملحمةٍ بطوليّة لم يشْهد مثلها التّاريخ إلاّ نادراً– هم من شباب الأمانة السّوريّة للتنميّة، والتي على هزالتها، إلاّ أنّها استطاعت أن تُساهم في زراعة ثقافة المبادرة والتّطوع في نفوس منتسبيها.

لا يستطيع المصطلح أن يتحوّل بذاته إلى فعل، كما لا يستطيع العنوان أن يكون هو الظاهرة، وغالباً ما نتعامل نحن مع انطباعنا عن الحدث، لا مع الحدث ذاته. لذا، لا يمكننا تلقي مفاهيم «كالإسلام السياسيّ، والليبراليّة، واليسار (والذي من ضمنه طبعاً اليسار الشّيوعيّ في سوريا) بوصفها مقولات كليّة مجرّدة فحسب. إذ لابدّ أن تلبسَ الكلمات تاريخها، وأن تتقاطع مع اختلافاتها لتتحوّل إلى معنى. والتّاريخ، بما فيه تاريخ اللحظة الرّاهنة، يقول أنّ ليس كلّ اليسار هو على يسار النّظام السّوريّ، كما أنّ ليس كلّ اليمين هو على يمينه كذلك، فهذا الحراك –أو الثّورة إنْ أحببت– هو جَمْع ما لا يُجمع في تاريخ سوريّة.

لا يمرّ حدثٌ بجسامة الحدث السّوري اعتباطاً، وهو بوصفه حدثاً مفاجئاً غير مسبوق فقد استحدث تاريخاً (بحسب وصف جاك دريدا للحدث)، حدثٌ يحدثُ للمرّة الأولى، وربّما الأخيرة!. لذلك، نستطيع استيعاب لماذا يتمّ التّعامل معه بطريقةٍ طقوسيّة تحوّله ربّما لمجرد حدثٍ رمزيّ، ولكن جلالة الحدث، هي بالضبط ما يجعلنا نحاول مقاومة ترميزه وحصره بمصطلحات عامة توحيديّة.

لقد وجد السّوريون أنفسهم وهم في خضم حدثهم، في مواجهة مفاهيم عامة تتحوّل في أحسن حالاتها إلى شعاراتٍ انتقائية، أو مقولاتٍ تبريريّة: فترانا ننتقي مصطلح «محاربة التكفير» لنمتدح جبهة النصرة–مثلاً!– في مواجهتها

لداعش، ونذهب لاستعمال مصطلح «اليسار: ومن ضمنه اليسار الشّيوعيّ في سورية–كذا–» كتهمة تقصير، دون اعتبار آلاف الأفراد – ومنهم عشرات المعتقلين– اليساريين الذين اختاروا بملئ إرادتهم الانحياز إلى جانب الثّورة في هذا الحدث العظيم، وعندما نقول بملئ إرادتهم فإننا نعني أن ما حرّك خياراتهم ليست الغرائز أو الاختلاف الطائفيّ، بل الإرادة الحرّة القيَميّة بمعناها الجوهريّ الحقيقيّ. وهؤلاء احتضنهم الشّعب واحتضنوه منذ بداية الحراك، وكانوا من صلب الحشود الشعبيّة، وقد تمّ بذل كُلفٍ كبيرة –ماليّة وإعلاميّة– لفصم هذه العروة الوثقى بين الطرفين. فانفصل نُشطاء اليسار الثّوريّ في سوريّة إلى مساراتٍ عدّة: خطّ لحق بما يظنّه العَصَبَ الذي لا بدّ منه لإبقاء جذوة الثّورة مشتعلة، فبتّ ترى يسارياً يُدافع عمّا هو من المفترض أنّه يُشكل نقيضه المعرفيّ والحضاريّ. وخطٌّ آخر اختار الانغماس في الحراك على الرّغم من مآخذه الكثيرة على من يدّعي تمثيل الحراك، وخط ثالث اختار –من الزّاوية المعارضة– العمل المدنيّ والفكريّ انتظاراً ليومٍ موعود، ولكنّ اليساريين في معظم الحالات لم يتخلّوا عن خيارهم في الوقوف إلى جانب الثّورة، وإنْ كنت أرى في الخيار الأول خياراً نكوصياً ليس عن الحراك وحسب، بل وعن الذات أيضاً، ولكنّ ذلك مبحثٌ آخر قد نتطرق إليه فيما بعد. وأذكر، ويذكر معي الأصدقاء أنّه وفي أثناء الزيارة الأولى لمصر في أوائل العام ٢٠١٢، فإنّ انطباع النّشطاء المصريين والعرب –وهو انطباع مبالغٌ فيه طبعاً، ولكنّه يعكس في الوقت نفسه مكانة اليسار الشّيوعيّ في سوريّة – هو أنّ حزب العمل الشّيوعيّ هو من يحرّك الجماهير في حمص ودرعا.

أنا لا أعتبر نفسي شيوعيّاً، فأنا لا أؤمن بالبروليتاريا ولا بديكتاتوريتها، كما أنني –وهذا ما هو أقسى– لا أؤمن بالحتميّة التّاريخيّة لانتصار الشّعوب، وأعتقد أنني أقرب إلى الليبراليّة منّي إلى اليسار، فكتابات فوكوياما تمتعني أكثر من رصانة تشومسكي، وليبرالية اللورد كينز تشدني أكثر من ماركسيّة ماو، ولكنني قطعاً ضدّ توحش جورج بوش، وضدّ استبداد عبد النّاصر (أحد الأصدقاء شخّص حالتي على أنّها ليبراليّة يساريّة، وأنا رضيت بهذا التشخيص وتأقلمت معه كما يتأقلم مريضٌ مع عضالٍ ألمّ به)، ولكنني لا أتوافق مع إطلاق الأحكام على الجماعات، فوحدهم قاطعو الهويات من يتعامل مع الجماعات بوصفها كياناتٍ مطلقة ناجزة، فيشملون كلّ اليسار في كفّة، وكلّ اليمين في كفّة. ويتعاملون مع النّظام ككتلةٍ واحدة، ومع الثّورة ككتلةٍ مناقضة، دون بذل ولو جهدٍ بسيط لمعرفة أنّ هناك من اليساريين من لا يُفضّل شرب القهوة وسماع فيروز في الصباح، ولربّما فضّل عليهما الخشوع لصوت عبد الباسط عبد الصمد، وإذا كنّا نسعى إلى تناول التّنوع الثّقافيّ تناولاً عادلاً، فلن تكون الثّقافات هي الهدف الأساسيّ الذي نهتم به، بل الأشخاص الذين ينتمون إلى تلك الثّقافات، على حسب تعبير بيتر جونز.

تبقى نقطة أخيرة، فبالرغم مما سبق، فأنا لا أستطيع إلاّ أنْ أبدي إعجابي الشّديد بخفة الدم ورشاقة اللغة والسلاسة التي يستعمل بها مصطفى الجرف قلمه.

رسالة يوم المسرح العالمي لعام ٢٠١٤

بقلم بريت بيلي

أينما كان هناكَ مُجتمعٌ إنساني.. تتجلى روح المسرح التي لا يمكن كبتها.

تحت أشجار القرى الصغيرة، وعلى عتبات المسارح الحديثة في المدن الكبيرة، في صالات المدارس، والحقول، والمعابد، في الأحياء الفقيرة، في الساحات العامة، وفي المراكز والأندية، وفي الأقبية.. يتماهى الناسُ في العوالم اللحظية للمسرح. تلك العوالم التي نخلقها لنعبّر، بلحمنا ودمنا وأنفاسنا وأصواتنا الحية، عن عمقنا الإنساني، عن تنوعنا، وعن حساسيتنا.

نجتمعُ لنبكي ونتذكر، لنضحك ونتأمّل، لنتعلم ونؤكد ونتخيل. نجتمعُ لكي تدهشنا تلك البراعة التقنية، لكي نجسّد الآلهة؛ فنقبض على نفسنا الجمعيّ بكل ما يحمله من مقدرة على الجمال والتعاطف والوحشية.

نأتي إلى المسرح لكي تتخللنا طاقته، وتمنحنا القوة كي نحتفلَ بقيم وثراء ثقافاتنا المتعددة، فنذيبُ ما يفصلنا من حدود.

أينما كان هناكَ مُجتمعٌ إنساني.. تتجلى روح المسرح التي لا يمكن كبتها، فهي تولد من المجتمع، ترتدي أقنعة وأزياء تقاليدنا المتنوعة، تكرّسُ لغاتنا وإيقاعاتنا وإيماءاتِنا، وتترك بيننا بعض فسحات.

نحن الفنانون العاملون في فضاء هذه الروح القديمة، نشعر أننا ملزمون ببعثها عبر قلوبنا وأفكارنا وأجسادنا، لنكشف عن واقعنا بدنيويته وأسراره.

لكن في هذا العصر، حيث يناضِلُ ملايين البشر من أجل البقاء، ويعانون من الأنظمة القمعية ومن الرأسمالية المفترسة، ويهربون من الصراعات والمصاعب حيث يتم اجتياح خصوصياتهم من خلال الأجهزة السرية الإستخبارية، وتخضعُ مقولاتهم للرقابة من قبل حكوماتٍ متطفلة. هذا العصر؛ حيثُ تبادُ الغابات، ويُقضى على الأنواعِ والأحياء، وحيثُ تُسمّمُ المحيطات.

في عصرٍ كهذا، ماذا علينا أن نكشف؟

في هذا العالم المبني على قوىً غير متعادلة، والذي فيه تحاول أنظمةٌ مهيمنةٌ عديدة أن تقنعنا أن أمةً واحدة، عرقاً أوحداً، جنساً واحداً أوميلاً جنسياً معيناً، أو أن دينا أوحداً أو أيديولوجيةً واحدة أو أن إطاراً ثقافياً واحداً فقط، ينصّب نفسه أفضل من الآخرين؛ فهل هو مبررٌ أن نصِرَّ على عدم فصل الفن عن الأجندة الإجتماعية؟

هل سنمتثل، نحن، فنانو الساحات والمسارح، إلى متطلبات السوق العقيمة، أو هل سنحاول أن نستغل القوة التي نمتلك لنفتح مساحةً في قلوب وأرواح المجتمع، ولنجمع الناس حولنا، لنلهمهم، لنصيبهم بالدهشة، ولنثقفهم، ولنصنع عالما من الأمل ومن التعاون الصادق؟

إعداد بشرى جود

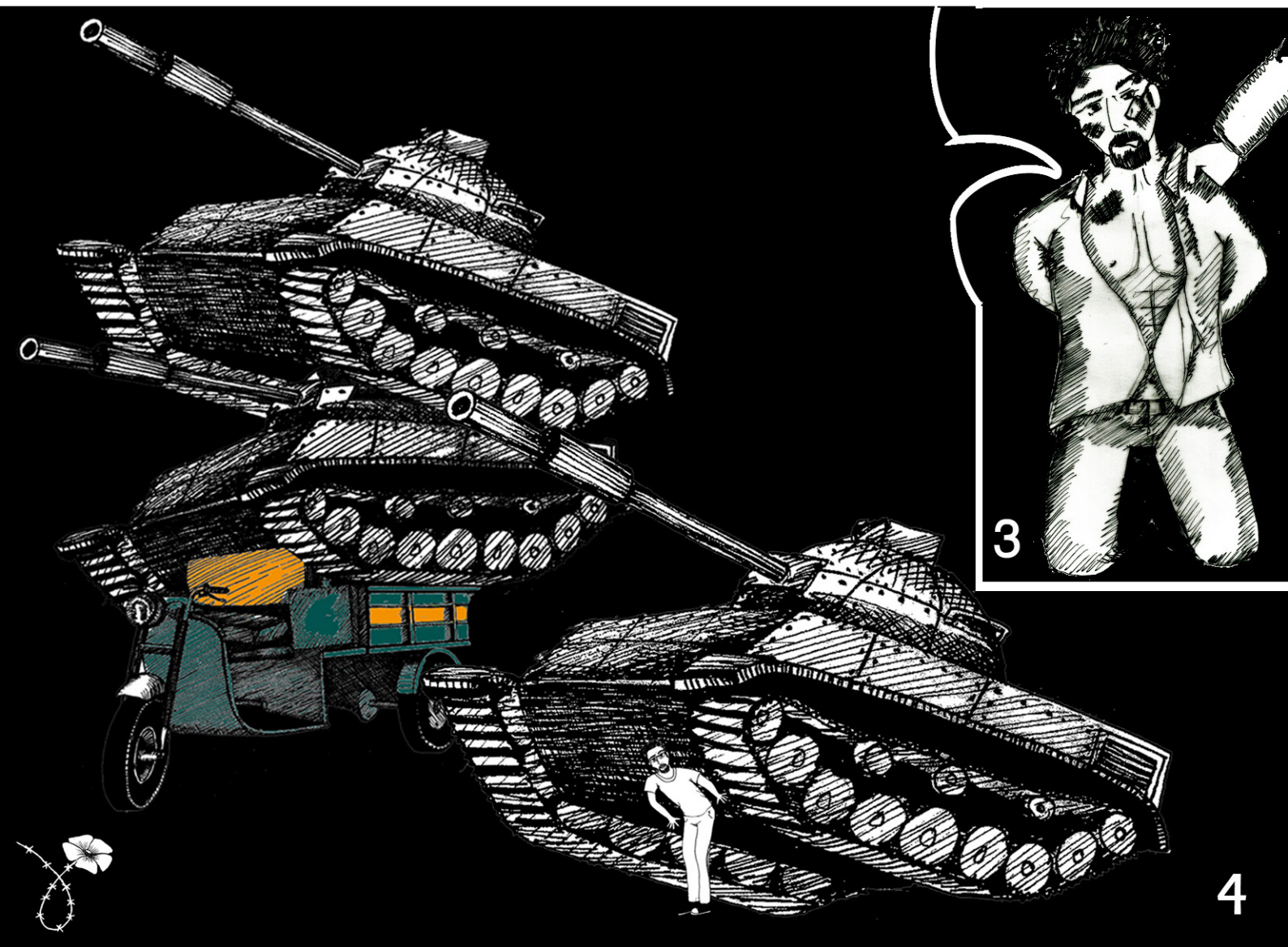

البرميل الخشبي

راهيم حساوي

كانت مهمته صعبةً، أصعب من اغتيال الرئيس، وأصعب من الانشقاق عن النظام، «هكذا قال في سره»، كان عليه أنْ يستلم البرميل الذي تم الاتفاق عليه بسريةٍ تامة، ولا مجال للخطأ بهذا الأمر، وكانت مهمته هذه موزعةً بينه وبين ضابطين من ضباط النظام الذين لم يكن بوسعهم الانشقاق عن هذا النظام.

عند حلول المساء، جلس في منزله وهو ينظر في عيون أطفاله الذين سيتم إرسالهم بسريةٍ تامةٍ إلى مكانٍ مجهول بالتعاون مع ثلاثة معارضين لهم علاقاتٌ جيدة مع النظام، وهم من المحسوبين على النظام في ظاهر الأمر ولا مجال للشك بهم، ولهم سلطةٌ جيدة، فيكفي الواحد منهم أن يذكر اسم أي ضابطٍ كبير عند الحواجز أو عند احتياجهم لشيء ما، وفي حقيقة الأمر هم لا يحتاجون لهذا، فهم معروفون من قبل بعض العسكريين والضباط الصغار على وجه الخصوص.

كانت الأمور تسير نحو المجهول ولا مجال للتكهن بأي شيءٍ رغم دقة الخطة.

كان الوقت يمضي سريعاً وبطيئاً حسب الحالة التي كان يمر بها تفكير هذا الضابط الجالس في منزله أمام جدارٍ تتوسطه صورةٌ كبيرةٌ للرئيس وهو يضع إصبع سبابته على خده في لحظةٍ تأملية، أراد أن يحتضن أولاده ويقبّلهم لكنه تردد في هذا الأمر، وأراد أن يتم كل شيء دون تفاقمٍ في جانبه الحسي وبعده النفسي، فلتكن الأمور على طبيعتها، فأنا منذ فترةٍ طويلة لم أحضنهم ولم أُقبلهم بطبيعة الحال، هكذا قال في سره.

لم يكن من قبل يعرف كثيراً معنى أن يفارق الوالد أبناءه ، لكنه بدأ يتعرف على هذا الأمر بعد أن شاهد أشلاء الأطفال وهي ملتصقةٌ على الأرض والجدران عبر اليوتيوب، وسيما ذاك المشهد الذي تم فيه إخراج الطفل من تحت الانقاض وهو على قيد الحياة، وكتلة الأصوات المشحونة بكل الصفات التي يمكن أنْ يحملها الإنسان من مشاعر الفرح والبكاء في مثل هكذا موقف.

منذ زمنٍ طويل لم يسمع أغنيةً برغبة منه، وكل الأغاني التي سمعها كانت محض صدفةٍ من حوله، فتح علبةً قديمة يوجد فيها بعض (الكاسيتات) التي كانت لديه من أيام تعرّفه على زوجته التي عاش معها فترة حبٍّ جميلة وكان ذلك قبل دخوله السلك العسكري، وهو يتفحص (الكاسيتات) شعر بحجم الخراب الروحي الذي أحدثه النظام في روحه من أول لحظةٍ دخل فيها هذا السلك القائم على قتل روح الذات قبل قتل الأرواح الأخرى، وراح يمعن النظر في كل (كاسيت) ويتذكر أغانيه التي يتضمنها، وردة الجزائرية، محمد عبد الوهاب، فريد الأطرش، أبو بكر سالم، وأحمد منيب الذي كانت أغانيه تبث الروح في دمه كلما جلس يسمع أغانيه المملوءة بالشجن والبساطة والصوت الذي يدخل الروح مثل زخات المطر في ليلةٍ ممتدة بين ضوءٍ ساطع ونافذةٍ مفتوحة يجلس عندها.

راح يستمع لإحدى أغاني أحمد منيب وهو ممدداً على الأريكة واضعاً يديه تحت رأسه بعينين مغمضتين إلى أنْ داهمه النوم ونام، فجاءت زوجته وغطته بهدوء ودخلت غرفة النوم ونامت بعد أن تأكدتْ من نوم أولادها بسلام.

حلق الضابط بطائرته بعد أنْ تم تنفيذ المهمة حسب الخطة بسلام، كانت ظهيرة تنذر بهطول المطر، وكانت السماء لا تخلو من طائرةٍ بين الحين والآخر تلقي ببراميلها المتفجرة هنا وهناك، نظر الضابط الطيار نحو الأسفل، في حين كان الناس يتراكضون ويركضون والذعر ورائحة الموت تخيم حولهم، أطفالٌ يصرخون، نساءٌ مذهولات لا يعرفن كيف يرجعن أطفالهن إلى بطونهن من جديد كي لا يموتوا، رجالٌ يتمنون لو أن بمقدورهم عض الطيارة والطيّار بأسنانهم قبل هبوط البرميل، طريقة هبوط وصعود الطيارة تجعلهم يموتون عدة مرات.

_ من اخترع الطيارة؟ قال مراهقٌ وهو يدخن سيجارته خائفاً على أهله.

_ بما كان يفكر ذاك العامل في مصنع هذه الطائرات وهو يشدُّ برغياً من براغي هذه الطائرة؟ قال شابٌ وبيده الكاميرا منتظراً لحظة التوثيق.

_ ألديه أُمٌّ هذا الطيار أمْ أن الطائرة هي مَن ولدته؟ قالت امرأةٌ عجوز وهي تمسح على رأس حفيدها الذي وعدته بحكاية هذا المساء.

_ إنها فراشة الشيطان تحوم فوق أروحنا الميتة. قال شاعرٌ لم يسبق له أنْ نشر ديوان.

_ سيموت البعض منا، هذا سهل للغاية، لكن الصعوبة تكمن في عدم قدرتنا على العويل والصراخ والحزن، من أين لنا هذا؟ لقد نفد كل ما لدينا؟ أخشى أن يموت أحد أفراد أسرتي أو أحد أصدقائي أو أقربائي وليس بوسعي البكاء عليه!

قال شابٌ في الثلاثين وهو ينظر إلى السماء مع مجموعةٍ من الناس نحو الطائرة.

سقط البرميل من الطائرة، نعم سقط وراح يتهاوى في الهواء مثل جثةٍ بلا نسلٍ ولا اسمٍ ولا عنوان، مثل السكران في زقاقٍ ضيق بلا أنوار، سقط مثل منتحرٍ لن يموت رغم انفجار كل ما فيه من موتٍ ودمار وخراب.

سقط البرميل فوق الأرض وتكسَّر، إنه برميلٌ من خشب على غير العادة، وكاد غطاؤه أن يدور مثل قطعة معدنية حين تدور على حافتها فوق الرخام، صرخ الناس فرحين، لم ينفجر البرميل، تجمع الناس حول مكان سقوط البرميل مذهولين، كانت الورود تملأ المكان ، وتناثر بعضٌ منها هنا وهناك، ورائحة الورد غطت المكان وطغت على رائحة العرق التي بين الثياب من شدة الخوف الذي أصابهم قبل رؤيتهم لهذه الورود، وأمسك البعض منهم خشب البرميل المتكسر وشموا رائحته وضحكوا وقالوا إنه برميل خشبي، نظروا في السماء ولوّحوا للطيار بأيديهم فرحين، تم إعدام الطيّار في اليوم التالي.

من الأرشيف البصري لمؤسسة بصمة سورية

I–القناص

حين بتروا ساقي قررتُ أن أصيرَ قنّاصاً

عباس علي موسى

نصّ بعنوان «القنّاص»، وهو يُعنى بفلسفة الرصاصة عن طريق الأدب، والقتل بعيني القنّاص الذي يقتلك أحياناً وفي أحيان أخرى يقتل عدوكَ، أو يصيرُ نافذةً على هذا العالم. هذا النص عبارة عن فاتحة لتجريد الرصاصة من البارود، وحشوها بالحبر. هذا النص جزء من نصوص عديدة تحمل ذات العنوان، أريد أن أحيلها للقرّاء، فالقراء في زمن الثورة لم يعودوا قرّاءً فقط، إنّهم ثائرون.

I

في زاويةٍ ما كنتُ أرى خطواتهم الهادئة كأغنيةِ عشقٍ، (العشقُ تحرر)
خطوٌ هادئٌ
وهم يحملون بخاخاتهم الملونة، يلوّنون جدران المدينة
الكتابة على جدران المدينة أسقطت شيئاً ما في دواخل المنازل، الجدرانُ التي كان الخوف يربضُ في داخلها، أصبحت الآن
هادرةً مُهابةً.
في ذروةِ تحرير الجدران من خوفها كتبتُ
إنني قنّاصٌ
كان أوّل ما فعلته أن اتخذتُ ركناً من الجدار
لأقنصَ المارين
بأحلامهم، بأغنياتهم، بدمهم
ربما لن تروني أبداً
لكنني اتخذتُ ركناً من الجدار/جداركم.
أنحتُ من هذه الطرقات درباً يودي بي إلى الحرية، والحرية وحدها

II

مشاهد
رصاصة / هذه الرصاصة التي خرجت اخترقت أريجاً ما لوردةٍ، لربما تحمل غبار البارود عوض حبات الطلع هذه المرة..
رصاصة / أطفال الحي الذين جمعوا فوارغَ الرصاص، حملوها إلى الدكان ليبتاعوا السكاكر..
رصاصة / العين التي ترصدُ الهدفَ تقتلهُ

قبل الرصاص، بعد أن يضع الجميع سلاحه، ويركنوا إلى الحياة، سأفقأ عيني..
رصاصة / حينَ أنزلُ إلى عمقِ المدينة، حريٌّ بي أن أعتاد حمل النقود عوض الرصاص، الرصاصُ عملةٌ بالنسبة لقنّاص..
ما أرعبَ العجوزَ/صاحب المتجر، هي الرصاصة التي مددتها إليه/ ساهياً عوض المال.. لا تخف يا عم فأنا قنّاصٌ ليس إلاّ..
رصاصة / عادةً ما يختارُ القنّاصُ مكاناً بعيداً عن الحياة، ليمارس القتلَ، جين تشتعلُ العتمة في المكان ينطفئ جسدٌ ما في مرماي.
رصاصة / لا مجالَ للخطأ في رصاصتي، الضحيةُ التي تفلتُ من القتلِ يسكنها الفزعُ أبداً، الخطأ موتٌ يومي بالنسبة لضحية.
رصاصة / وأنا أقدّمُ الوردة للطفلة الصغيرة، فزعت إلى أمّها، لم أخبرها أنني قنّاصٌ ربما كانت رائحة البارود تفوح من أصابعي، لا تُشبه عبقَ وردةٍ بأي حال.

احتفالية العام الثالث

سامر قطريب

لا أحدَ يضيعُ منكَ في بيروت، إذا أردت مقابلة أحد الناشطينَ السوريين عليك بالذهاب إلى شارعِ الحمرا أو زيارة صفحته على الفايسبوك لتعرف مكان تواجده في إحدى القهاوي التي اعتاد الشباب التجمع فيها، هناك تخفُ وطأة الغربةِ قليلاً عندما تتنقل بين الطاولات المستديرة، ذاكرة الثورةِ والأحداث الدموية والمظاهرة الأولى، كلُ شيءٍ أمامكَ، ماضيك ومستقبلك، الأوضاع المعيشية المستحيلة في بيروت إضافةً لكتابٍ مقلوبٍ في يدِ فتاةٍ تغني للسماء(فوق إلنا خِل)، سريرٌ في غرفةٍ بثمنِ رصاصِ كتيبةٍ في سوريا، اجتماعٌ يبدأ بترديد الشعار، يليه كأسٌ أو فنجان قهوةٍ في بارٍ، جيوبٌ منفوخةٌ وأخرى مثقوبةٌ كالجوارب، رقصةٌ بربرية حزينة، بكاءٌ ونواحٌ على المجازر القديمةِ والجديدةِ والقادمةِ، قبلةٌ سريعةٌ لكسر الخواطر، قصيدةٌ ثورية سكرانةٌ من شفتي ريتا، ريتا الاسم الحركيّ لناشطةٍ سياسيةٍ وإعلاميةٍ تقاعدت بالتزكيةِ بعد أن فرّغتِ الثورة من ثوارها .
خيمةُ لجوءٍ منصوبة تحت الطاولة، ومعتقلٌ يأكلُ الملح في فنادق اسطنبول، وحوريات باريس، لعبةٌ تبكي صاحبها، وقلم طبشورٍ مستوردٌ من درعا، خيبة الهرموش وخيول طروادة، حنجرة القاشوش ودموع الساروت، رصاصة قناصٍ في سقف البار، غنائيةٌ لحرائر حمص (كل يوم عنا شهيد يا أهل سوريا). صمتٌ ثقيلٌ قبل سقوط الهاون ثم ضحكةٌ مسجلةٌ لنيرون دمشق من خطبتهِ إلى كِسرى ملكِ اليهود، طفلٌ جائعٌ من اليرموكِ يبحث عن حقِ العودة إلى قبرهِ، كرسيٌّ ألماني للتعذيبٌ من عهد الأب يُعرض في مزادات الثورةِ، وداعشيٌّ يُكبّر على رأس غزال.
جدارُ سجنٍ يُرفع فوق المقبرة الجماعية، تصريحٌ أخضر من الشيطان الأكبر لحفيده الأصغر، جثثٌ فوق الطاولة وجثثٌ معلقةٌ في المعارضِ الدوليةِ، جداريةٌ يبرود وشهيدٌ عادَ ليهرب من رصاصةٍ، وفوق رؤوسنا برميلٌ يهوي كالصاعقةِ، وجنازةٌ قيد التحضير..

مالك جندلي

هو مؤلف موسيقي وعازف بيانو سوري مقيم في الولايات المتحدة وهو موسيقار عالمي من مواليد ألمانيا سنة ١٩٧٢م .ولد لمأمون جندلي و لينا الدروبي. بدأ بتلقّي علوم الموسيقى في الرابعة من عمره، وكان أول حفل بيانو له على خشبة المسرح في الثامنة من عمره. التحق بالمعهد العربي ثم بالمعهد العالي للموسيقى في دمشق، وتتلمذ على يد البروفسور فيكتور بونين من كونسرفتوار تشايكوفسكي. من أهم عازفي البيانو، قدّم أعماله برفقة العديد من الفرق السمفونية العالمية على أهم المسارح في الشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة وسورية

هيئة التحرير:

رئيس التحرير: ناجي الجرف – مديرة التحرير: بشرى جود

المدير الفني: بحر عبد الرزاق – المدير الاداري: جمال حسون

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

I am from Syria

I am like your daughter
beautiful and smart
but the difference that
I am living in the time of
Bashar Al-Assad